

السميويات الحديثة: الأصول والامتدادات Modern Semiotics: Origins and Extensions

د. علوي أحمد الملجمي *

جامعة البيضاء (اليمن)

a.almalgami@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/03/30

تاريخ القبول: 2021/01/28

تاريخ الإرسال: 2021/01/15

ملخص: تنطلق هذه الدراسة من صعوبة السميويات الحديثة وتطورها المستمر وحاجة القارئ العربي إلى تأطير مبسط لها، وهذه الدراسة تحاول سدّ هذه الفجوة، فهي تقدم تأطيراً أبستمولوجياً للسميويات الحديثة، مركزةً على تعريفها، وموضوعها، وحاجتها إلى خطاب تأسيس عربي، وأصولها وإرثها التاريخي، والقطيعة المعرفية التي أحدثتها، ونشأتها ومراحل تطورها، والفرق بين مراحلها المختلفة، والفرق بين السميويات العامة والسميويات الخاصة والسميويات التطبيقية. وعرضت الدراسة لعلاقة السميويات الحديثة ببعض الحقول المجاورة كاللغويات، وتحليل الخطاب، والبلاغة الجديدة. وقدّمت عشرة اتجاهات مختلفة للسميويات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: السميويات الحديثة؛ السميويات الأوروبية؛ اتجاهات السميويات؛ السميوزيس؛ العلامة

ABSTRACT :

This study comes out of the difficulty of modern semiotics and its continuous development, and the Arab reader's need for a simplified frame of it. This study tries to bridge this gap, as it provides an epistemological framework of modern semiotics, focusing on its definition, subject matter, and its need for an Arab foundational discourse, its origins and historical legacy, the cognitive rupture it brought about, its origin and stages of development, the difference between its various stages, and the difference between general semiotics, special semiotics and applied semiotics. The study presented the relationship of modern semiotics to some neighboring fields such as linguistics, discourse analysis, and new rhetoric. It presented ten different trends in modern semiotics.

Keywords: Modern Semiotics; European Semiotics; Trends of Semiotics; Semiosis; Sign

1. مقدمة:

السميويات ترجمة لمصطلح (السيميوطيقا) عند (شارلز سندررس بورس) والتيار الأمريكي، و(السيميوولوجيا) عند (فردينان دي سوسير) ومدرسته الأوروبية. وقد أطلق عليها بعض الدارسين العرب علم العلامات، أو العلاماتية أو الدلائلية. واستقر رأي الباحثين الغربيين على توحيد كل الأسماء تحت اسم "السيميوطيقا" بقرار اتخذته (الجمعية الدولية للدراسات السيميائية) التي انعقدت في باريس (يناير 1969). وهناك شبه إجماع عند الدارسين العرب على تسمية هذا العلم باسم "السميويات". وتُعرّف السميويات بأنها «دراسة العلامات وكل ما يحيل عليها: عملها، وعلاقاتها مع العلامات الأخرى، وإنتاجها، وتلقي المستعملين لها»⁽¹⁾. ويعرف (روبرت شولز) السيميائية بأنها «دراسة الشفرات والأنظمة التي تمكن الكائنات البشرية من فهم بعض الأحداث أو الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى»⁽²⁾. ففي علم يدرس العلامات وما تتضمنه من

شفرات وأنظمة خطابية. وإذا أردنا تعريف السيميائيات الحديثة بشكلٍ دقيق فإنها "علم صناعة المعنى من خلال السيميوزيس".

الموضوع الرئيسي للسيميائيات بكل اتجاهاتها هو السيرورة الدلالية/السيميوزيس الذي يشكل كينونة العلامة بكل تمظهراتها وتجلياتها، «فالموضوع الأساسي الذي تدور حوله السيميائيات هو العلامة ولا شيء سواها»⁽³⁾ ومهمتها ودورها هو بناء نظرية عامة لأنظمة التواصل والإبلاغ. فكل ما في الوجود وما ينتهي للتجربة الإنسانية يشكل موضوعاً سيميائياً شريطة أن يمثل سيرورةً دلالية، «فالسيميائيات تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني: إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاءً بالأنساق الإيديولوجية الكبرى»⁽⁴⁾. فهي تهتم بكل ما يشكل علامة في كل المجالات الكونية. ونتيجة لذلك فقد تشعبت السيميائية إلى سيميائيات؛ بحيث أصبح لكل نظامٍ أو نسقٍ علاماتي سيميائيته الخاصة به، والتي تستطيع توفير إطارٍ نظري، ومنهجٍ إجرائي صالح للتطبيق، في إطار مبادئ السيميائيات العامة.

1. خطاب التأسيس السيميائي:

في هذه النقطة البحثية نبحت في أصول السيميائيات الحديثة وجذورها ومفاهيمها وامتداداتها؛ مما يعني أن الدراسة تسعى إلى وضع إطار تأسيسي. و«المقصود بالخطاب التأسيسي هو ذلك الخطاب الذي يبحث في الأصول الأولى المؤسسة للمشروع السيميائي الحديث. أي هو خطاب يحاول الكشف عن الجهاز المفاهيمي المتمثل في المقولات الفلسفية والمعرفية التي تقف وراء التنظير السيميائي الحديث»⁽⁵⁾. ويرجع (بودود) قلة الخطاب التأسيسي للسيميائيات الحديثة في المشهد النقدي العربي إلى «1- أن السيميائيات الحديثة هي مشروع جديد لا زال في طور النشأة، أضف إلى ذلك تعدد اتجاهاته. 2- صعوبة السيميائيات الحديثة نظراً لتداخلها مع علوم شتى تحتاج إلى جهد فكري»⁽⁶⁾.

والتأسيس لنظرية السيميائيات على قدرٍ كبير من الصعوبة والأهمية في الوقت نفسه. وصعوبته تكمن في تعدد خلفيات السيميائيات، واختلاف مفاهيمها، وتشعب امتداداتها. فهي ليست تطوراً طبيعياً لعلم معين يمكن تتبع مراحله، كما أن مصطلحاتها ومفاهيمها كثيرة وغير منتظمة، إضافة إلى أنها دخلت كثيراً من المجالات العلمية والإنسانية. وبالرغم من هذه الصعوبة فإن وضع إطار تأسيسي لا بد منه؛ فأى مقارنة في ضوء السيميائيات لا بد لها من التسلح بمعرفة كافية بخلفياتها المعرفية التي ساهمت في تأسيسها.

وقد لخص الناقد الجزائري رشيد بن مالك الصعوبات التي تواجه القارئ العربي في فهم السيميائيات مرجعاً سبب ذلك إلى جهل القارئ العربي بخلفيات هذا العلم وأصوله وعدم التفريق بين مصطلحاته ومفاهيمه وتياراته. فالقارئ - كما يرى - «يلقى مشقة كبيرة في فهمها، وتمثلها، واستصاغتها، وفك رموزها ومصطلحاتها، فهو يقرأ ويبدل مجهوداً كبيراً لتطويق فكرة أو مفهوم، ولفهم ما يترجم إلى اللغة العربية، ولكنه لا يفهم ولا يجد إلى ذلك سبيلاً. وأتى له أن يتمثل ما يقرأ، وهو يفتقد إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعها السيميائية، ومفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية والمفهومية بين هذا المصطلح أو ذاك، هذا التيار أو ذاك»⁽⁷⁾.

ومن هنا فإنه لزام على الدرس العربي الحديث أن يقيم مشروعًا تأسيسيًا يسعى إلى التأطير الأبستمولوجي لنظرية السيمانيات؛ بالتركيز على أسسها وأصولها وخلفياتها المعرفية. وما سأقدمه في السطور القادمة يأتي ضمن هذا المشروع التأسيسي أو التأصيلي.

2. السيمانيات الحديثة: إرث تاريخي وقطبيعة معرفية:

تُعدّ السيمانيات الحديثة قفزةً نوعيةً في تطور العلوم؛ فقد بدت في أسسها ومفاهيمها ونتائجها علمًا جديدًا. فهي طريقة جديدة في فهم الظواهر وتحليلها، ولها حدودها ومفاهيمها وأدواتها الجديدة. فالسيمانيات ليست تطورًا للبنوية - مثلًا - أو لأي من النظريات المتشابهة معها في مجال البحث. بل إنها ردة فعل لها؛ فلقد جاءت السيمانيات الحديثة لهدم وتقويض النظريات السابقة، وتقديم نظرة مختلفة للظواهر، وتصوّرٍ مختلفٍ لكيفية تحليلها وفهمها. لذلك - وبالرغم من الخلفية المعرفية المتعددة والإرث التاريخي الكبير - يمكن القول إنها شكلت قفزةً معرفيةً وقطبيعةً معرفيةً مع النظريات التي سبقتها.

ولذلك نجد أن (غريماس) يعرف السيمانيات بأنها «علم جديد مستقل تمامًا عن الأسلاف البعيدين، وهو من العلوم الأمهات ذات الجذور الضاربة في القدم، فهي - أي السيمانية - علم جديد، وهي مرتبطة أساسًا ب(سوسير) وكذلك (بورس) الذي نظر إليها مبكرًا».⁽⁸⁾ ومن تعريف (غريماس) السابق - وهو أحد أعمدة السيمانيات الحديثة - نتحصل على ثلاثة أمور: 1- أن السيمانيات الحديثة علم جديد مستقل استقلالًا تامًا عن السيمانيات التقليدية/الكلاسيكية أو ما عبّر عنه بـ"الأسلاف البعيدين". بمعنى أنها ليست تطورًا لها أو لغيرها من النظريات الأخرى؛ مما يعني وجود قطيعة أبستمولوجية بينهما. 2- أن السيمانيات الحديثة من العلوم الجامعة (الأمهات)، ولها جذورها الضاربة في القدم، أي أنه لا يمكن تجاهل الإرث التاريخي والخلفية المعرفية التي اتكأت عليها. إلا أنه رجح لي قول إنها علم جديد. فبالرغم من اتصالها بهذا الإرث إلا أنها علم جديد ومستقل بأسسها ومفاهيمها وأدواتها. 3- الأمر الثالث الذي يشير إليه التعريف أن بداية هذا العلم الجديد كانت مع (سوسير) و(بورس)، وما كان قبلهما ليس إلا إرهابات لظهوره وتشكله.

التفكير السيماني قديم بقدم البشرية؛ فالتفكير في العلامات موجود في التراث الإنساني منذ وجود تلك العلامات. وتطرق الإنسان إلى بعض القضايا التي ناقشتها السيمانيات الحديثة، إلا أن هذا العلم «لم يتخذ شكل علمٍ مستقلٍ إلا مع المؤسسين بورس وسوسير».⁽⁹⁾ ومع استقلالية هذا العلم الجديد إلا أنه يستحيل فهمه إلا من خلال إرثه التاريخي. بمعنى أنه «لا يمكن تجريد السيمانيات المعاصرة من أصولها الفلسفية القديمة».⁽¹⁰⁾ فالجهاز المفهومي للسيمانيات الحديثة يستند على هذه الأصول، وبدون الرجوع إلى هذه الأصول وفهمها ستبقى المفاهيم السيمانية إشكالية وغير مفهومة. «ولهذا لا تتخرج بعض التيارات السيمانية في الإعلان عن انتمائها إلى تصورات فلسفية بعينها. ولا يعوزها في ذلك دليل».⁽¹¹⁾

فلسيمانية جذور قديمة، فهناك إشارات كثيرة في التراث العالمي سواءً العربي أو الأوروبي. ويكاد يجمع الدارسون على أنّ الإرهابات الأولى لعلم السيمياء تعود إلى الحضارة الإغريقية القديمة، إذ يمكن العثور على إشارات داخل الموروث الفكري الذي خلفه اليونان منذ القدم، تلك الإشارات التي يلتقي بعضها

مع الكثير من الأفكار التي قالت بها السيميائية الحديثة⁽¹²⁾ وبالأخص منه الإرث الفلسفي؛ فقد شكل هذا الإرث عمقاً لها، ومن أهم هذا الإرث الفلسفي تلك الجهود التي قام بها الرواقيون⁽¹³⁾. «فقد نظرت فلسفة اللغة - من الرواقيين إلى كاسيرير، ومن القرون الوسطى إلى فيكو، ومن القديس أغسطين إلى فيتغنشتاين - في جميع أنظمة العلامات، وبهذا المعنى فقد طرحت مسألة سيميائية في الأصل»⁽¹⁴⁾.

والسيميائيات الحديثة تتكى على خلفية معرفية متعددة الجوانب، فمنها اللسانية والفلسفية والمنطقية والعلمية (الرياضيات والفيزياء والكيمياء)⁽¹⁵⁾. إنها تستمد مفاهيمها ومقولاتها وأسسها من علوم مختلفة. «إنها علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنثروبولوجيا (ومن هذه الحقول استمدت السيميائيات أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها)⁽¹⁶⁾.

فسيميائيات (بورس) مثلاً تعتمد على فلسفة (كانط) الظاهرية، وتستمد منها المقولات الفيرونسكوبية. كما أن «المنطق في معناه العام، ليس سوى تسمية أخرى للسيميائيات، تلك النظرية شبه الضرورية والشكلية للعلامات»⁽¹⁷⁾ والرياضيات هي النموذج الأعلى للسيميائيات.

3. مراحل تطور السيميائيات:

3.1. الإشارات السيميائية قبل ظهور النظرية:

وهي كل الإشارات السيميائية الموجودة قبل ميلاد السيميائيات الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. والباحث في تاريخ السيميائيات في هذه المرحلة «لن يعثر على ملامح واضحة لهذا العلم، بل سيعثر على شذرات متفرقة تدل على أن الإنسان قد تأمل في العلامة منذ بدأ التأمل والتفكير فيما حوله»⁽¹⁸⁾.

ويدخل في هذه المرحلة كل الجهود السيميائية التي قدمها الفلاسفة منذ أرسطو إلى الرواقيين وفلاسفة القرون الوسطى، وجهود العلماء العرب القدماء في هذا المجال. ويكتمل تخلق السيميائيات التقليدية مع سيميائيات (لايبتز) و(جون لوك) و(هوسرل) وصولاً إلى (برتراند راسل) و(فيتغنشتاين) و(كاسيرير).

3.2. السيميائيات:

وهي النظرية التي ظهرت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ومؤسسها الأول كما يرى إيكو هو (تشارلز سندررس بورس)⁽¹⁹⁾ ومعه في الضفة الأخرى وفي الفترة نفسها (فرديناند دي سوسير). وهي نظرية جديدة لها أسسها ومفاهيمها وأدواتها الجديدة الخاصة بها.

ومنذ نشأتها وحتى الآن مرت السيميائيات بثلاث مراحل؛ ف(إيكو) يذكر في كتابه (القارئ في الحكاية) مرحلتين أو ما يسميها جيلين؛ «لقد ارتسم - منذ البدء - منحيان في السيميائية النصية، في مسار نموها المطرد. ولسوف نحددتهما باعتبارهما نظريتين تعودان إلى الجيل الأول والثاني»⁽²⁰⁾. فهذان الجيلان يشكلان نظريتين أو مرحلتين في السيميائيات، وذكر (إيكو) المرحلة الثالثة في كتابه (السيميائية وفلسفة اللغة)، وهي ما يسميها السيميائية الأكثر حداثة.

3.2.1. السيميائيات البنيوية (السيميائيات الكلاسيكية/الجيل الأول):

السيمائيات البنيوية ويسمى (دانيال تشاندلر) السيمائيات التقليدية أو الكلاسيكية.⁽²¹⁾ ويمكن أن تُحدد بداياتها بكتابات (سوسير) وحديثه عن السيميولوجيا، أمّا نهاياتها فيمكن أن تُحدد - أيضًا - بسبعينيات القرن الماضي. فقد «ازداد منذ سبعينيات القرن العشرين ابتعاد السيمائية عن (سوسير)».⁽²²⁾ وتسميتها بالسيمائية البنيوية ترجع إلى تأثرها بالبنيوية، واحتفاظها بكثير من الإرث البنيوي.

وتختلط السيمائية في هذه المرحلة بالألسنية البنيوية؛ فبداياتهما مرتبطة وتكاد تكون واحدة. ومهما يكن فإن الألسنية البنيوية شكلت جزءًا من السيمائية في هذه المرحلة، سواء من حيث الأصول والمنطلقات أو المفاهيم والأدوات. وعند الحديث عن السيمائية البنيوية فإن المقصود بها السيمائية الأوروبية فهي التي تمثل هذه المرحلة؛ لذلك لا يمكن أن يدخل فيها (بورس) بالرغم من أنه - تاريخيًا - يأتي في بدايات هذه المرحلة. وقد أشار (إيكو) إلى هذا الإشكال عند تصنيفه السيمائيات إلى جيلين. فلقد ارتسم - بحسبه - منذ البدء وخلال مسار نموها المطرد اتجاهان في السيمائيات. وهو يحددهما بوصفهما نظريتين تعودان إلى جيلين مختلفين: الجيل الأول، والجيل الثاني. والجيل الأول يقابل السيمائية البنيوية أو التقليدية الكلاسيكية، وهو الجيل الذي كان متطرفًا وعنيفًا ضد لسانيات الجملة، ومعنى هذا أنه ينتصر للسانيات النص، فهو تيار سيمائي متمسك بعلم النص أو اللسانيات الحديثة. و(إيكو) يرى أن تحديده لـهذين الجيلين ليس تسلسليًا، بمعنى التسلسل التاريخي؛ فقد سبقت دراسات الجيل الثاني دراسات الجيل الأول؛ ف(بورس) الذي عاش في الحقبة التاريخية نفسها التي ظهرت فيها سيمائيات الجيل الأول يُعدُّ رائدًا لسيمائيات الجيل الثاني. وفي نظر (إيكو) فإن هذا لا يُعدُّ خرقًا للقوانين الوراثة؛ لأننا - بحسبه - نتكلم عن نظريتين مختلفتين حتى وإن استفادت كلٌّ منهما من الأخرى، ووجدت بينهما بعض التشابهات.⁽²³⁾

وعلى ذلك، فإن السيمائية البنيوية ترتبط بـ(سوسير)، وإن كان لـ(بورس) من تأثير فهو تأثير ضئيل في ظل هيمنة التأثير السوسيري والبنيوي. ففي هذه المرحلة «تماهت السيمائية إلى حد بعيد مع المعالجات البنيوية».⁽²⁴⁾ فقد اعتمدت السيمائية في هذه المرحلة على كثير من المفاهيم والأدوات البنيوية، كالبنية السطحية والبنية العميقة، والمحايثة، والتركيز على الشكل واللغة.

3.2.2. سيمائيات ما بعد البنيوية (السيمائيات الحديثة/الجيل الثاني):

السيمائيات الحديثة أو سيمائيات ما بعد الحداثة هي الجيل الثاني للسيمائيات عبر تاريخها الطويل. وهي التي يسميها (دانيال تشاندلر) سيمائية ما بعد البنيوية أو سيمائية ما بعد الحداثة في مقابل السيمائية التقليدية⁽²⁵⁾ أو الكلاسيكية. ويمكن أن نحدد بروز السيمائيات الحديثة بانعقاد الجمعية الدولية للسيميوطيقا في يناير 1969م في مدينة باريس. مع عدم إغفال بداياتها التي بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مع كتابات (بورس)، «وهو أول منظري الجيل الثاني بلا أدنى شك».⁽²⁶⁾ وهو ما يعني أننا أمام مرحلة سبقت مرحلة السيمائية البنيوية (الجيل الأول) في بداياتها، ولكنها جاءت بعدها في ظهورها وانتشارها وسيطرتها على الدراسات السيمائية؛ أي أن السيمائيات الحديثة ظهرت بوصفها ردة فعل على السيمائية البنيوية، وارتكزت في تأطيرها على كتابات (بورس).

وفي هذه المرحلة تجاوزت السيميائيات المفاهيم البنيوية والتحليل المحيث إلى التحليل في ضوء الموسوعة، والنظر في تمفصلات المعنى وتكونه داخل الخطاب في ضوء تحليل موسوعي. أي أنها غدت «نظرية في تكون التفاعلات الخطابية وتأويلها».⁽²⁷⁾ فمنذ سبعينيات القرن الماضي بدأت الدراسات السيميائية تبتعد عن الإرث السوسيري والبنوي، واتجهت نحو المدرسة الأمريكية المتمثلة في سيميائيات (بورس). وهذا ما شكل خصوصية السيميائيات الحديثة، بالإضافة إلى احتكاكها أو التقائها مع نظريات ما بعد الحداثة؛ فقد كان لهذه النظريات بصورة أو بأخرى دور في تشكيلها.

فقد جاءت تيارات السيميائيات الحديثة متكئة على الإرث البورسي والإرث السيميائي الأوروبي، ولكنها شكلت قطيعة معرفية مع الإرث البنوي والألسني السوسيري الذي اعتمدت عليه السيميائيات في المرحلة السابقة. وما يميز تيارات السيميائيات الحديثة هو أنها دخلت كثيرًا من المجالات واستغلت كثيرًا من التخصصات وصبغت بصبغتها. فظهرت - مثلًا - السيميائيات التأويلية من التقاء الهرمونتطبيقا وسيميائيات (بورس)، والسيميائيات الاجتماعية (مدرسة سدني) من التقاء الدراسات الاجتماعية بالسيميائيات، وسيميائيات الثقافة (مدرسة تارتو - موسكو) من التقاء اللسانيات والنقد الأدبي بالسيميائيات، وهكذا.

الفرق بين المرحلتين السابقتين من مراحل السيميائيات:

- السيميائية البنيوية ألسنية في منطلقاتها وكثير من آلياتها؛ فهي تركز على اللغة. بينما السيميائيات الحديثة منطقية في منطلقاتها وآلياتها. ويقسم (أوسبنسكي) السيميائيات إلى اتجاهين: 1- سيميائية العلامة: وهي ذات منزع منطقي، ومؤسسها هو (بورس) ومن بعده (موريس)، ويتركز اهتمامها على العلامة وعملية السيرورة الدلالية (السميوزيس) وتحويل العلامة إلى علامة أخرى. 2- سيميائية اللغة: وهي ذات منزع لساني، ومؤسسها (دي سوسير)، ويتركز اهتمامها على اللغة بوصفها آلية لتكوين النصوص، ومحتوى النصوص يحدده معنى العلامات اللغوية.⁽²⁸⁾

الاتجاه	المؤسس	المنطلقات	الاهتمام
سيميائية اللغة	دي سوسير	ذات منزع لساني	اللغة
سيميائية العلامة	بورس + موريس	ذات منزع منطقي	العلامة في سيورتها الدلالية

جدول 1 مراحل السيميائيات

- السيميائية البنيوية تنظر في انتظام العلامات في التفاعلات الخطابية الممكنة عبر اللغة في مستواها المثالي في ظروف وسياقات معينة. والسيميائيات الحديثة نظرية في إنتاج/تكون الخطابات وتأويلها. ف(إيكو) يميز «بين 1- نظرية تنظم أمر الأرموزات والكفاية الموسوعية التي يتسنى عبرها للغة (سيستام من أرموزات مترابطة فيما بينها)، في مستوى تمأسسها المثالي، أن ترتئي كل تفاعلاتها الخطابية الممكنة، وكل الاستعمالات الممكنة في ظروف وسياقات مخصصة، وبين 2- نظرية في تكوين التفاعلات الخطابية وتأويلها».⁽²⁹⁾

- من ضمن الانتقادات التي وجهتها السيميائيات الحديثة للسيميائية البنيوية أن تحليلها قاموسي، وترفض

التحليل الموسوعي. «ويتبدى لنا أنّ كل الاعتراضات الموجهة إلى نظريات الجيل الأول إنما هي معقولة، إذ تنتقد محاولات التحليل التقطيعي في شكل قاموس، وترفض أن تدخل الإعلام الموسوعي في الإطار النظري».⁽³⁰⁾ ومن هنا فإن السيمانيات الحديثة تختلف مع السيمانيات البنيوية في هذه النقطة، فبينما تصر الأخيرة على تحليل تقطيعي في شكل قاموس، أي أن العلامات لا تحيل إلا على معانيها القاموسية، تصر الأولى على تحليل تقطيعي في شكل موسوعي؛ فالعلامات لا تحيل فقط على معانيها القاموسية، وإنما تحيل أيضاً على كل الخلفيات اللسانية والثقافية التي امتلكتها العلامة عبر مسيرتها التاريخية، وفي تعاضد نصي مع موسوعة النص بكل علاماته.

- اعتمدت السيمانيات البنيوية على مفاهيم وأدوات إجرائية بنيوية؛ بينما شكلت السيمانيات الحديثة قطيعة معرفية مع الإرث البنيوي. فهي تناقض في مبادئها وقواعدها القواعد والمسلمات البنيوية.
- اهتمت السيمانيات البنيوية كثيراً بالعلامات اللغوية، وأهملت بقية العلامات، بينما انفتحت السيمانيات الحديثة على كل العلامات؛ فهي تدرس كل العلامات الكونية، أو كل ما يشكل علامة في كل المجالات الكونية. وركزت كثيراً على العلامات خارج النص الأدبي، كالعلامات الثقافية والاجتماعية.
- المحايثة مبدأ بنيوي تمسكت به السيمانيات في مرحلتها الأولى؛ فهي إجرائياً تقوم على التحليل المحايث. «والمقصود بالتحليل المحايث أن النص لا ينظر إليه إلا في ذاته مفصلاً عن أي شيء يوجد خارجه. والمحايثة بهذا المعنى هي عزل النص والتخلص من كل السياقات المحيطة به. فالمعنى ينتجه نص مستقل بذاته ويمتلك دلالاته في انفصال عن أي شيء آخر».⁽³¹⁾ وبالنقيض من ذلك ترفض السيمانيات الحديثة مبدأ المحايثة، وتؤكد على ربط النص بمحيطه وعالمه الخارجي.
- موضوع السيمانيات البنيوية هو العلامة في نفسها، أما موضوع السيمانيات الحديثة فليس العلامة لذاتها، وإنما سيرورتها الدلالية، أو ما سماه (بورس) السميوزيس/السيرورة اللامتناهية للعلامة.
- أغلقت السيمانيات البنيوية النص على نفسه، ف«لا تعالج السيمانيات المحض بنيوية سيرورات إنتاج النص أو تفسير المتلقين له».⁽³²⁾ وهو ما رفضته السيمانيات الحديثة؛ فقد رأت أنه لا يمكن مقارنة أي نص أو أي نظام علاماتي إلا في علاقته بالمتلقي.

3.2.3. السيمانيات الأكثر حداثة:

يذكر (إيكو) هذه المرحلة في كتابه (السيمانية وفلسفة اللغة 1984) وقد جاء كتابه هذا بعد كتابه (القارئ في الحكاية 1979) الذي ذكر فيه المرحلتين السابقتين. وهو ما يعني أننا أمام ثلاث مراحل، تشكل السيمانية الأكثر حداثة المرحلة الثالثة. فهو يرى أنه يقدم «آليات مقولية تنتهي إلى السيمانية الأكثر حداثة، من مفهوم الموسوعة إلى معيار التأويل».⁽³³⁾ وهو يرى أن هذه المفاهيم بمختلف تفاعلاتها لا زالت في النقاشات التأسيسية.⁽³⁴⁾ وقد جاءت هذه المرحلة ردة فعل على التأويل المفرط أو السلبي الذي انتهجته نظريات القارئ في مرحلة سابقة، وكذلك الفهم الهرمسي لأقوال (بورس).

الفرق بين هذه المرحلة والمرحلة السابقة:

- القصدية من أهم المبادئ التي اختلفت فيها مراحل السيميائية الثلاث. فالسيميائية البنيوية ركزت اهتمامها على النص مغلقاً ومفصلاً عن محيطه الخارجي، ولا تعطي أي دور للمؤلف والقارئ. واحتفظت بعض اتجاهات السيميائية الحديثة بمركزية النص، وأعطت بعض اتجاهاتها الأخرى المركزية للمتلقى؛ فهي تلغي النص والمؤلف لصالح القارئ. وتحاول السيميائية الأكثر حداثة الجمع بين قصدية النص والقارئ مع عدم إغفال مؤلف النص وظروف إنتاجه، فهي تجعل المركزية للنص متصلاً بمتلقيه وظروف إنتاجه والعالم الذي يحيط به.
- تركز السيميائيات الأكثر حداثة على كيفية فهم نص ما (فهم المعنى وكيفية بنائه). مع عدم إغفال الجانب الجمالي للتأويل والتلقي في الأعمال الفنية.⁽³⁵⁾
- يشكل الانفتاح مفهوماً مركزياً للتفريق بين مراحل السيميائيات الثلاث؛ ففي المرحلة الأولى (السيميائية البنيوية) يُعدُّ انغلاق النص على نفسه هو ركيزة التحليل فيها (التحليل المحايث). وجاءت السيميائيات الحديثة لتفتح النص على تأويلات لا محدودة (السميوزيس اللامتناهية). أما السيميائية الأكثر حداثة فهي تقدم توصيفاً جديداً للانفتاح؛ عن طريق ما يمكن تسميته "الانفتاح المنضبط". ولأهمية مفهوم "الانفتاح" في التفريق بين المرحلة السابقة وهذه المرحلة أطلقت - في دراسة سابقة - على المرحلة السابقة السيميائيات الهرمسية، وعلى هذه المرحلة سيميائيات المعنى النهائي.⁽³⁶⁾
- إذا كانت السيميائيات البنيوية تتناول النص من أعلى، والسيميائيات الحديثة تتناوله من الأسفل، فإن السيميائيات الأكثر حداثة تتناوله ابتداءً من فعل القراءة نفسه. يقول (إيكو): «فإننا نقول إنها (أي السيميائيات) تتناول النص من أعرق جذوره التكوينية، في حين أسعى إلى مبادأته من على سطح فعل القراءة».⁽³⁷⁾ ولذلك اتجهت السيميائيات الأكثر حداثة مع (إيكو) في أحدث اتجاهاتها النصية إلى قراءة القراءة أو ما أطلق عليه "سيميائيات القراءة".

4. السيميائيات العامة والسيميائيات الخاصة:

بسبب علاقة السيميائيات المتشابكة والمعقدة مع العلوم الأخرى، سواء العلوم التي تشكل خلفياتها كالفلسفة والمنطق والرياضيات، أو العلوم التي تشكل مجالات أو حقولاً للدراسات السيميائية؛ فقد برز نوعان أو اتجاهان من السيميائيات الحديثة، هما: السيميائيات العامة، والسيميائيات الخاصة.

فالسيميائيات العامة هي عبارة عن القواعد والأسس والمفاهيم وفلسفتها، ومقولات عامة بما تحويه تلك المقولات من خلفيات معرفية. «إن السيميائيات العامة هي فلسفة للمفاهيم تعف عن التحليلات الخاصة، وتسعى لطرح جملة من المقولات العامة التي تشرف على احتواء مختلف الوقائع السيميائية».⁽³⁸⁾ وبتعبير أكثر بساطة، فالسيميائيات العامة هي الخطاب النظري العام للمقولات السيميائية، وهي الفضاء النظري الذي تسأل فيه قوانين السيميائية وحدودها وخلفياتها الأبستمولوجية. «فالسيميائيات العامة ليست بالوصفية ولا هي بالتطبيقية، ولكنها تروم بناء أنموذج نظري يُقلب الوقائع السيميائية، ويمنحها شكلاً موحداً».⁽³⁹⁾

ووظيفة هذه السيميائيات هي بناء النظرية بمفاهيمها وأسسها. أي أنها خطاب تأسيسي وتنظيري قابل

للتطبيق والتطوير. وهناك بعض الدراسات التي اهتمت بالسيمانيات العامة، منها كتاب "بحث في السيمانيات العامة" لأمبرتو إيكو 1979م. وكتاب "مختصر في السيمانيات العامة" لجون ماري كليكنبرغ 1996م. وكتاب "معالم السيمانيات العامة" لعبد القادر فهم الشيباني 2008م.

ويمكن أن نُجمل سمات السيمانيات العامة في الآتي:

- السيمانيات العامة هي الأسس أو القضايا العامة التي تستند على أسس فلسفية وخلفيات معرفية مختلفة. «فهي لا تحصر دراستها في نسق خاص، بل إنها تضع مقولات عامة يمكن عبرها مقارنة مختلف الأنساق».⁽⁴⁰⁾
- تطرح مقولات عامة يمكن في ضوءها تفسير كل الظواهر والوقائع السيمانية.⁽⁴¹⁾
- الخطاب الفلسفي فيها جذري وتأسيسي. «والخطاب الفلسفي بالنسبة إلى السيمانيات العامة ليس محبداً أو أكيدا، بل هو بكل بساطة تأسيسي».⁽⁴²⁾

أما السيمانيات الخاصة فهي الاتجاه الآخر في السيمانيات، وهي تقابل السيمانيات العامة. «وهي نحو يخص نظاماً معيناً من العلامات».⁽⁴³⁾ أي أن كل نسق من العلامات يمتلك سيمانية خاصة، وهذا النظام يشمل القواعد التركيبية والدلالية والتداولية. والسيمانيات الخاصة وإن بدأت من التطبيق (التحليل والنظر في نظام علاماتي معين) معتمدة على إطار أبستمولوجي داخلي، ومنطلقة من المقولات العامة للسيمانيات العامة؛ فإنها يمكن أن تصل إلى درجة من النضج تأخذ به وضعية علمية. عن طريق إثبات الفرضيات المقدمة؛ وهو ما يعني صحة الإطار النظري الذي اعتمدت عليه، والنتائج التي توصلت إليها. وبذلك فإن هذه السيمانيات تحجز لها مكاناً في السيمانيات العامة؛ عندما يأتي من يفلسف هذه القواعد والنتائج.

وأهم سمات السيمانيات الخاصة ما يأتي:

- تخص نسقاً علاماتياً معيناً. فهي لا تبحث في كل أنساق العلامات؛ بل في نسق خاص، بخلاف السيمانيات العامة.
- تطرح قضاياها بناءً على أبستمولوجيا داخلية نابعة من داخلها.⁽⁴⁴⁾
- تطرح فرضيات وقضايا، وتحاول أن تكون أكثر نضجاً، ومن ثم تأمل أن يكون لها وضعية علمية.⁽⁴⁵⁾

والسيمانيات الخاصة ليست السيمانيات التطبيقية؛ فبينهما فرق واضح؛ لأن هذه الأخيرة عبارة عن ممارسات؛ كما يحدث في تطبيقنا الأدوات السيمانية على النصوص الأدبية في النقد الأدبي. «فالسيمانيات التطبيقية لا تملك حدوداً ومدى دقيقاً».⁽⁴⁶⁾ لذلك لا ينبغي أن نطرح فيها مسألة العلمية، أو أن نراهن عليها، بل إنها تعتمد على التناغم والانسجام في استخدام الأدوات المناسبة لفهم النص.

5. علاقة اللسانيات الحديثة بالسيمانيات الحديثة:

يختلط الأمر لدى بعض الباحثين في التمييز بين السيمانيات واللسانيات. وخاصة أنما عُرف من السيمانيات في القرن الماضي – عربياً – هو السيمانيات السوسرية (البنوية)، وهي ذات أصول لسانية،

ولها ارتباط كبير باللسانيات. إلا أن السيميائيات ليست اللسانيات، كما أن السيميائيات الحديثة (سيميائيات ما بعد البنيوية) – والتي البحث بصدها – ابتعدت كثيراً عن الدرس اللساني؛ بسبب القطيعة المعرفية مع السيميائيات البنيوية.

ف«اللسانيات هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيداً عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية».⁽⁴⁷⁾ وقد اختلف الباحثون في علاقتها بالسيميائيات، فمنهم من يرى أن السيميائيات/السيمولوجيا أعم من اللسانيات ومنهم من يرى العكس، ف(سوسير) يعدّ السيمولوجيا علماً أعم وأهم من اللسانيات يقول: «إن اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام، والقوانين التي ستكشفها السيمولوجيا ستكون قابلة لأن تطبق على اللسانيات».⁽⁴⁸⁾ لكن (بارت) يعكس الوضعية، ويعتبر السيمولوجيا جزءاً من اللسانيات، يقول (بارت) بعد مناقشته للقضية: «وبصفة عامة، يجب – من الآن – تقبل إمكانية قلب الاقتراح السوسيري، ليست اللسانيات جزءاً - ولو مفضلاً - من السيمولوجيا، لكن الجزء هو السيمولوجيا، باعتباره فرعاً من اللسانيات».⁽⁴⁹⁾ إلا أن قلب (بارت) لهذه الوضعية لم يكن نهاية النقاش، بل لم يقنع كثيراً من معاصريه ومن جاء بعده؛ فمعظم السيميائيين البنيويين يقبلون – وإن ضمناً – بوضع سوسير الألسنية في السيميائية. فالألسني والسيميائي (رومان جاكسون) يؤكد أن الألسنية جزء أساسي من السيميائية. والألسني الأمريكي (بلومفيلد) يرى أن الألسنيين هم المساهمون الأساسيون في السيميائية.⁽⁵⁰⁾

وعندما أتحدث عن علاقة ما للسانيات مع السيميائيات؛ فإنما أعني بها السيميائيات البنيوية التي اختلطت بالألسنية البنيوية؛ «إذ يصعب الفصل بين بدايات السيميائية الأوروبية وبدايات الألسنية».⁽⁵¹⁾ وذلك بفضل تأثير (سوسير) ومن جاء بعده من السيميائيين الأوروبيين ذوي الأصول الألسنية؛ فكما تأثرت سيميائيات هذه الحقبة بالبنيوية فإنها كذلك تأثرت بالألسنية واختلطت بها. «وكثيراً ما تلجأ السيميائية إلى الأفاهيم الألسنية؛ بسبب تأثير سوسور».⁽⁵²⁾

واللغة في السيميائيات البنيوية مركزية، وهي أهم الأنظمة السيميائية، وهي منظومة تفسيرية لبقية الأنظمة غير اللسانية. فهذه السيميائيات تقوم على دراسة اللسان وتطبيق النموذج اللساني على بقية الأنظمة؛ فكل الأنساق السيميائية تستمد قوانينها وأدواتها من الألسنية. وإذا كان ثمة اختلاط بين اللسانيات والسيميائيات البنيوية فإن هناك فرقاً بينهما في الأدوات والغايات. «وإذا كانت مهمة عالم اللسان - كما يرى سوسير - تكمن في البحث عن كل ما يجعل من اللسان نسقاً خاصاً، فإن مهمة السيميائي هي البحث عن تلك البنية المشتركة التي تنخرط فيها الأنساق السيميائية العديدة بما فيها اللسان».⁽⁵³⁾

كل ما سبق يتعلق بالسيميائيات الأوروبية/البنيوية، أما السيميائيات الحديثة/ ما بعد البنيوية فقد تخلصت من التأثير الألسني؛ لأنها اعتمدت كثيراً على سيميائيات (بورس) ذات الأصول المنطقية والفلسفية والرياضية. لقد أدرك السيميائيون – حتى في أوروبا – أن «محاولة حشر جميع وسائل الاتصال في إطار ألسني هو خطر قائم».⁽⁵⁴⁾ فقد أصبحت السيميائيات ذات خلفيات مختلفة واتجاهات متعددة، وابتعدت عن

الأسنية في منطلقاتها وأدواتها.

6. السيمائيات الحديثة وتحليل الخطاب:

التحليل مصطلح ممارساتي يستدعي مجموعة من الممارسات والأدوات التي تمارس على الخطاب، كالقراءة والتأويل، والشرح والتفسير. وتحليل الخطاب هو العملية التي تمارس على الخطاب بهدف خلخلة بناء العميقة، واستخراج خفايا معناها ومقاصدها، ومعرفة خلفياتها وآليات اشتغالها. و«تحليل الخطاب (Discours Annalysis) مصطلح جامع ذو استعمالات عديدة، يشتمل على مجالات واسعة من الأنشطة: التداولية - السيمائية - اجتماعية - نفسية - أسلوبية ... الخ. إنه في استفاضة دائمة: موضوعاً، مجالاً، علماً، منهجاً، يسعى في اجتماع جزئياته اللتين أسهمتتا بشكل فعال في تكوينه، إلى تحليل وفك شفرة الخطاب من أجل فهمه، على اختلاف أنواعه: (أدبي / شعري / نثري)، سياسي، إسهاري، اجتماعي، نفسي، تعليمي، علمي ... الخ»⁽⁵⁵⁾ وقد ظهر تحليل الخطاب في ستينيات القرن الماضي؛ ومن ذلك الوقت شهد هذا الحقل كثيرًا من التطوير والتحول والاتساع. وقد ارتبط تحليل الخطاب في بداياته بالنسق العلاماتي اللغوي، إلا أنه تجاوز لسانيات الخطاب، ولم يُعَدِّ مقتصرًا على علوم اللغة والتداوليات؛ وإنما تجاوز ذلك مستغلًا كل مناهج التحليل بما فيها السيمائيات الحديثة.

إن التحليل السيمائي هو تحليل للخطاب، يعتمد على كشف النصوص العميقة ورصد تجلياتها النصية المختلفة التي تحيل على وقائع وسيرورات خارجية؛ وذلك أن «الخطاب الفني بنية ونظام خاص يختلف عن بقية الأنظمة الدلالية الأخرى السياسية، والاجتماعية، والفكرية، وغيرها. على أن العمل الفني ليس منغلًا على نفسه، بل يندرج ضمن سياقات اجتماعية وثقافية. ومن ثم فإن السيمائية لا تقف عند البنية الخارجية دون الداخلية، ولا تفصل النص عن القارئ؛ فهي تتجاوز البنية السطحية لتكشف عن البنية العميقة في النص»⁽⁵⁶⁾. لأن التوقف عند البنية السطحية لا يؤدي إلى فهم صحيح للنص، وخصوصًا في الخطاب الأدبي.

وهكذا فإنَّ المنهج السيمائي - في السيمائيات النصية مثلًا - ينطلق من قاعدة أساسية هي النص الأدبي بمستوياته الظاهر والعميق، و«من اعتبار النص يحتوي على بنية ظاهرة وبنية عميقة، وتحليلهما ينص على تبيان ما بينهما من علائق، لأن انسجام النص الأدبي ناجم عن تضمينه بنية عميقة محكمة التركيب»⁽⁵⁷⁾، يتم فيها تشكل المعاني وترتيبها. أي أن إنتاج المعنى يتم أولاً في بنيته العميقة، ثم يظهر بعد ذلك على السطح. وبالتالي يمكن القول بأن السيمائيات هي «بحث في المعنى لا من حيث أصوله وجوهره، بل من حيث انبثاقه عن عمليات التنصيص المتعددة، أي هي بحث في أصول السيميز (السيرورة التي تنتج وفقها الدلالات) وأنماط وجودها باعتبارها الوعاء الذي تصب فيه السلوكات الإنسانية»⁽⁵⁸⁾. فهي بحث في المعنى وتشكله في بنيتي النص السطحية والعميقة.

ينطلق التحليل السيمائي للخطاب مما انتهت إليه جهود اللسانيين في تحليل الخطاب؛ فالسيمائيات تهتم بكيفية إنتاج النصوص، وكيفية سيرورة الدلالة في النص وصولًا إلى أثره أو نتيجته (المعنى)، ومن هنا

يرى النقاد أنّ «السيمائيات هي طريقة في رصد المعنى وتحديد بؤره ومظانه، إنها أيضاً طريقة في الكشف عن حالات تمتعه ودلاله وغنجه. ولهذا فالسميوز ليست تعييناً لشيء سابق في الوجود ولا رسداً لمعنى واحد ووحيد، إنها على العكس من ذلك إنتاج، والإنتاج معناه الخروج من الدائرة الضيقة للوصف (الموضوعي) إلى ما يحيل على التأويل باعتباره سلسلة من الإحالات المتتالية الخالقة لسياقها».⁽⁵⁹⁾ ذلك السياق الذي يشير عبر مؤول نهائي - خروجاً من لانهائية التأويل التي تقوم عليها التفكيكية - إلى معنى أخير أو نهائي للنص.

وعلى ذلك «السيمائيات في نهاية المطاف، وبكثير من التبسيط، ليست سوى تساؤلات تخص الطريقة التي ينتج بها الإنسان سلوكاته، أي معانيه، وهي أيضاً الطريقة التي يستهلك بها هذه المعاني».⁽⁶⁰⁾ فهي تنطلق من كون النص شبكة شفرات، والقارئ/الناقد هو الذي يقوم بفكها، واستكشاف معانيها، للوصول إلى المعنى العميق الذي يؤدي إلى الفهم الحسي والصحيح للنص.

وهناك فرق بين التحليل السيميائي للنصوص وغيره من التحليلات الأخرى؛ فالتحليل السيميائي هو تحليل للخطاب، والسيمائيات (نصية) أي أنها تهتم بالنص، وهو ما يميزها عن اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة (جُمليّة). وهو «كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة، إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتواري والمتنمّع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق النصية أو التعبير عن مكنونات المتن».⁽⁶¹⁾ وهناك فرق آخر بين التحليل السيميائي والتحليل البنيوي، فالتحليل السيميائي لا يكتفي بدراسة العلاقات بين بنى النص - كما يفعل التحليل البنيوي - ولكنه يدرس بنى النص وعلاماته في خلفياتها اللسانية والثقافية. أي أنه بإمكاننا القول إن التحليل البنيوي يشوبه نوع من الأفقية (تحليل أفقي)، بينما التحليل السيميائي لا بد أن يكون عمودياً رأسياً.

7. السيميائيات الحديثة والبلاغة الجديدة:

تتعلق السيميائيات الحديثة مع البلاغة من ثلاث جهات، الأولى: دور البلاغة في نشأة السيميائيات؛ فلقد تأثرت السيميائيات بالآراء البلاغية التقليدية عن طريق الفلسفة اللوكية (نسبة إلى لوك) التي تشربت الآراء البلاغية، ثم أثرت بدورها في السيميائيات اللاحقة، ف«السيمائيات اللوكية تمثل في الواقع أصل نظريات العلامة الحالية ونظريات المعنى التي تطورت في أوروبا والولايات المتحدة».⁽⁶²⁾ إن هذه البلاغة ذات الأبعاد الفلسفية اللوكية، قد أسهمت في ظهور كثير من النظريات التي تدور حول العلامة وإنتاج المعنى، «وفي الولايات المتحدة أعيد تأويل البلاغة فلسفياً في السيميائيات (السيميوطيقا) التي أرسى لها بورس (Peirce)».⁽⁶³⁾ وعلى ذلك، فإن السيميائيات هي امتداد فلسفي متطور للبلاغة التقليدية.

والثانية: دور البلاغة في التحليل السيميائي؛ فالعناصر البلاغية والعناصر السيميائية تتقاطعان عند التحليل. «ومن ثمّ، تشكل البلاغة جزءاً إبداعياً من النظام السيميوطيقي الدلالي والاجتماعي والسياقي والمعرفي. بمعنى أن البلاغة تشكل المولد الديناميكي للوحدات الكلامية والإبداعية أداءً وإنجازاً وسياقاً».⁽⁶⁴⁾ أي أن البلاغة بمصطلحاتها وعناصرها تسهم في عملية التحليل السيميائي. و(رولان بارت) - وهو من السيميائيين المخضرمين - «من الدارسين الغربيين الأوائل الذين سارعوا إلى تطبيق البلاغة، وخاصة ثنائية التقرير

والإيحاء، على الأنظمة السيميولوجية غير اللفظية مثل: الموضة، والطبخ، والإشهار، والأزياء، والصور».⁽⁶⁵⁾ ومن السيمائيين الذين حاولوا الربط بين البلاغة والسيمائيات وإيجاد أوجه التقارب والشبه بينهما تصورًا ومنهجًا وتطبيقًا (جان ماري كلانكينبرج)، وجماعة (مو).⁽⁶⁶⁾

والثالثة: دور السيمائيات الحديثة في تشكيل ما أطلق عليه (البلاغة الجديدة). فالسيمائيات الحديثة تسعى - مع غيرها من النظريات والمناهج الأخرى - إلى رسم معالم جديدة لبلاغة جديدة. والبلاغة التي ينشدها التحليل السيمائي تتعلق بالمعنى وكيفية تشكله، ووصولًا إلى إدراكه إدراكًا شاملاً. وهو ما لا يتأتى إلا بعملية تأويلية تنتج عنها عملية الفهم. والبلاغة هنا (البلاغة الجديدة) ليست بلاغة تطريز، أي أنها ليست بلاغة شكلية، ولكنها بلاغة وعي وإدراك قائمة على عمليات استدلالية. إنها بلاغة تشكّل المعنى في الخطاب عبر علامات منتقاة بعناية، تنفتح وتضيق وتنغلق بحسب ما يراد لها، وهي في ذلك لا تخرج عن مركزية الخطاب، وتشكل تعاضدًا دلاليًا يساعد في تحديد معناها. وتكمن بلاغة الخطاب هنا في قبوله للتأويلات التي تتناسب مع سياقه، وهي تأويلات تعتمد على معطيات دلالية من الخطاب نفسه. وتكمن أيضًا في رده لتأويلات أخرى لا تحيل عليها علاماته، وهي تأويلات تؤثر في انسجامه، ولا تتناسب مع سياقاته. أي أن التحليل السيمائي يمثل ما يمكن أن نسميه البلاغة العميقة القائمة على أدوات إجرائية وفهم شامل وعميق، وليس مجرد استحسان وذوق شخصي.

8. اتجاهات السيمائيات الحديثة:

8.1. السيمائيات الاجتماعية (مدرسة سدني):

مدرسة سدني هي الاتجاه الذي تبناه (مارتن) وزملاؤه من أعضاء حلقة سدني في مدينة سدني بأستراليا، وهو اتجاه سيمائي ينتهي إلى السيمائيات الحديثة؛ فقد تشكل في ضوء ردود الفعل على السيمائية البنيوية. واتجهت هذه المدرسة إلى الجانب الاجتماعي للممارسات السيمائية، سعيًا منها إلى تأسيس سيمائية جديدة تتخلص من الإرث البنيوي. «منذ النصف الثاني من الثمانينات، قام أعضاء حلقة سدني (Sydney) السيمائية والمرتبطون بها بتبني "السيمائية الاجتماعية" كتسمية. وتأثرت هذه الحلقة، بدرجة كبيرة، بكتاب مايكل هاليداى (Michael Halliday) اللغة السيمائية كسيمائية اجتماعية (Language as Social Semiotics) 1987».⁽⁶⁷⁾ وقد انطلقت السيمائية الاجتماعية من حديث (بورس) عن العلامة وأنه لا يمكن أن توجد من دون المتلقي، كما أنها استفادت من دراسات السيمائيات البنيوية التي سبقتها، ومع ذلك فقد شكلت السيمائيات الاجتماعية قفزة نوعية في الدراسات السيمائية، سواء في قواعدها الأساسية ومفاهيمها وأدواتها.

ومن أعضاء هذه المدرسة (كريستيان ماتياس Chrstion Matthias)، و(جيمس روبرت مارتن James Robert Martin)، و(غونتر رولف كريس Gunther Rolf Kress)، و(ثيودور يعقوب فان ليوين Theodore Jacob Van Leeuwen)، و(جاي ل. ليمكي Jay L. Lemke).⁽⁶⁸⁾

تركز هذه المدرسة على ربط العلامة بمجالها الاجتماعي في حالي الإنتاج والتلقي. فالنص يتشكل من

خلال السيرورة الدلالية لعلامات لها خلفيات اجتماعية، وكذلك فإن النص عند التلقي تتعدد معانيه بحسب التوجيه الاجتماعي لعلاماته. «والهم الأساسي عند السيميائيين ذوي التوجه الاجتماعي هو معالجة ما يسمونه "الممارسات السيميائية المعيّنة" أو "سيرورة المعاني الاجتماعية في المقام"»⁽⁶⁹⁾. فهذا الاتجاه من السيميائيات ينظر إلى العلامة في بعدها الاجتماعي، ويرى أن المعنى الذي ينتجه النص ليس إلا سيرورة دلالية لعلامة اجتماعية. وعلى ذلك، لا يمكن فصل أي نص (أدبي أو غير أدبي) عن محيطه الاجتماعي. وبهذا تختلف هذه السيميائيات عن السيميائيات البنيوية؛ فالسيميائيات الاجتماعية ترفض التحليل المحايث أو المغلق، وتفتح النص على محيطه الاجتماعي.

8.2. السيميائيات الثقافية (مدرسة موسكو - تارتو):

انطلقت سيميائيات الثقافة (Culture Semiotics) من السميوزيس (Semiosis) إلى الفضاء السيميائي (Semiosphere). وتعود جذورها «إلى فلسفة الأشكال الرمزية عند (كاسيرير)، وإلى الفلسفة الماركسية»⁽⁷⁰⁾. فقد نشأت في البيئة الروسية الماركسية؛ إذ «لم تبلور سيميوطيقا الثقافة أو الثقافات بشكل جلي إلا مع مدرسة موسكو - تارتو (Tartu) التي كان يمثلها كل من: (إيفانوف Ivanov)، و(أوسبنسكي Ouspenski)، و(لوكموتسيف Iekomcev)، و(لوتمان Lotman)، وغيرهم»⁽⁷¹⁾. وإلى جانب المدرسة الروسية نشأت المدرسة الإيطالية، وقدمت كثيرًا من الأفكار في هذا الاتجاه من السيميائيات.

تُعرّف سيميائيات الثقافة بأنها «دراسة الأنظمة الثقافية باعتبارها دوالاً وعلامات وأيقونات وإشارات رمزية لغوية وبصرية، بغية استكناه المعنى الثقافي الحقيقي داخل المجتمع، ورصد الدلالات الرمزية والأنثروبولوجية والفلسفية والأخلاقية. ولا تقتصر هذه السيميوطيقا على ثقافة واحدة أو خاصة، بل تتعدى ذلك إلى ثقافات كونية تتسم بطابع عام»⁽⁷²⁾. فهي دراسة الأنظمة الثقافية الكونية، التي تتمظهر بوصفها علامات. وأهم رواد هذا الاتجاه «من العلماء والباحثين السوفييات الذين تطلق عليهم تسمية (جماعة موسكو - تارتو)، وهم (يوري لوتمان)، و(فياتشلاف)، و(ف. إيفانوف)، و(بوريس أو سبنسكي)، و(فلاديمير تودوروف)، و(الكساندر. م. بياتيجورسكي)، وكذلك الإيطاليين (روسي)، و(لاندو)»⁽⁷³⁾، ومن إيطاليا كذلك (أمبرتو إيكو).

وتنظر سيميائيات الثقافة إلى الظواهر الثقافية بوصفها أنظمة دلالية مختلفة ومتداخلة في الآن نفسه. فهي تهتم بالثقافات الكونية التي تتسم بطابع عام قائم على التعايش والتواصل والمثاقفة، كما أنها تهتم «بخصوصيات كل ثقافة مستقلة داخل نظام سيميائي كوني. وتُغنى أيضا بالعوامل والأقطاب الثقافية الصغرى والكبرى ضمن ثنائية المركز والهامش»⁽⁷⁴⁾. وبذلك يصبح الكون كله مجالاً تشتغل عليه سيميائيات الثقافة. فهي تسعى إلى دراسة أنظمتها الثقافية في كل مجالاته كالإبداع، والجغرافيا، والعمارة، والعادات والتقاليد، والآداب، واللغة، والفن، والفلكلور، والترجمة، والأدب المقارن، والتواصل، وعلاقة الأنا بالآخر، وأدب الصورة، وأدب الرحلة.

ومن أهم مفاهيم وأدوات هذه المدرسة:

- السميوزيس: ويقابله المصطلح العربي السيرورة الدلالية. فالسميوزيس هو «السيرورة التي يشتغل من

خلالها شيء ما كعلامة».⁽⁷⁵⁾ ، السميوزيس سيرورة دلالية تتحكم في إنتاج الدلالات وتأويلها. وكل الوقائع الكونية تدخل ضمن هذه السيرورة (السميوزيس) عند (بورس Peirce)، «إن كل ما يُداول ضمن الممارسة الإنسانية ويستعمل باعتباره علامة يشغل باعتباره سيرورة سميوزية. وعلى هذا الأساس فإن مفهوم العلامة في تصور (بورس) مثلاً، لا يمكن أن ينفصل عن سيرورة السميوز، فخارج هذه السيرورة لن تحيل الوقائع إلا على تجربة صافية خالية من الفكر والقانون، وستنتفي بانتفاء الشروط التي أنتجتها».⁽⁷⁶⁾ وهو مفهوم عام لكل اتجاهات السيمائيات.

- الفضاء السيميائي: تشغل سيمائيات الثقافة ضمن ما سماه (لوتمان) الفضاء السيميائي، و«يرى لوتمان أن الفضاء السيميائي هو فضاء المعنى. وبشكل أكثر دقة، أن الفضاء السيميائي يُعدُّ المقياس الوحيد الذي من خلاله تصبح حياة المعنى ممكنة».⁽⁷⁷⁾ وهو نظام عام وكبير تتفاعل فيه كل الأنظمة الثقافية، ومن بينها أنظمة اللغات، فكل لغة لها فضاءها السيميائي (الفضاء الداخلي)، وهي محاطة بفضاء سيميائي أكبر منها (الفضاء الخارجي). «هكذا فإن كل لغة تجد نفسها غارقة داخل فضاء سيميائي خاص، ولا يمكن أن تشغل إلا بالتفاعل مع هذا الفضاء».⁽⁷⁸⁾ وبين الداخل والخارج أو المركز والهامش توجد الحدود، تفصل بينهما، إلا أنها في الوقت نفسه تعدُّ حلقة الوصل بينهما؛ فعن طريق هذه الحدود يتم التفاعل والتهجين وبناء الأنظمة الدلالية الجديدة.

- الذاكرة: ثقافة النص هي ذاكرته، وهي التي تعمل على إنتاجه وتكونه. «ويقارن أصحاب مدرسة (تارتو - موسكو) بين البنية السيميائية للثقافة والبنية السيميائية الذاكرة»⁽⁷⁹⁾ والفرق بينهما دقيق جداً يتمثل في أن الثقافة هي تجربة الماضي في حال كونها مثبتة جامدة، أي سمات البنية السيميائية للثقافة، والذاكرة هي تجربة الماضي في حال التطور والتراكم والتعديل، كما هو في النص الفلكلوري.

- التشويش والتعقيد: التعقيد هو صعوبة إدراك النظام الثقافي نتيجة لوجود عوامل التشويش والفوضى. وهو ما يعني أن التعقيد ينشأ عن التشويش «وقد حدد (لوتمان) التشويش باعتباره فوضى وأنتروبيا وعاملاً خارجياً يقتحم بنية المعلومة وقد يؤدي إلى تعطيلها».⁽⁸⁰⁾ وينقسم التعقيد إلى تعقيد خوارزمي مرتبط بالنظم الاصطناعية، وتعقيد طبيعي يرتبط بالأجسام الحية والنظم الطبيعية.

- الداخل والخارج والحدود/ثنائية المركز والهامش: ترى السيمائيات الثقافية أن الفضاء السيميائي/الثقافي يتكون من فضاء داخلي وفضاء خارجي (مركز وهامش) تفصل بينهما حدود كالتى تفصل الأحياء عن الأموات والمدن عن القرى. «والحد يمكن أن يحدد بصفته الحد الخارجي لشكل بصيغة ضمير المتكلم ... كل ثقافة تبدأ بتقسيم العالم إلى الفضاء الداخلي الخاص (بي) وفضاء (تهم) الخارجي».⁽⁸¹⁾ وهذه الحدود بقدر ما تفصل الداخل (المركز) عن الخارج (الهامش) فإنها تعمل بوصفها أساس التفاعل، وإنتاج الأنظمة الجديدة أو تحويل الهامش إلى مركز. أي أن الحدود منطقة اتصال وانفصال في الوقت نفسه.

- النظام المنمذج الثانوي: هو النظام الذي يبني على أساس نظام آخر. وقد وضعت مدرسة (تارتو -

موسكو) هذا المصطلح عند حديثها عن الأدب؛ «فالأدب نظام نموذج لأنه يقدم نموذجاً للعالم، ولكنه نظام ثانوي؛ لأنه مبني على أساس نظام آخر هو النظام اللغوي: النظام المنمذج الأول».⁽⁸²⁾

8.3. السيميائيات التأويلية:

ظهرت السيميائيات التأويلية (Interpretive Semiotics) مع (بورس) ونظرتة للعلامة على أنها شيء يحيل على آخر، وفكرة تستدعي أخرى، عن طريق ما أسماه (السميوزيس) الذي يشتغل بفضل التأويل الذي يطلق العلامات من عقاليها؛ لتفتح على الدلالات، «وربما يكون تصور (بورس) للتأويل ولسيميائيات تأويلية هو أكثر العناصر أصالة وعمقا في نظريته السيميائية».⁽⁸³⁾ إنَّ نظرية (بورس) هي نظرية تأويلية في الأساس، وقائمة على السميوزيس أو السيروية الدلالية التي تعد مرتكز التأويل.

مع الزخم الفلسفي والنقدي الكبير الذي حققته نظرية (بورس) السيميائية، ف«ليس غريباً أن تتطور، انطلاقاً من مقترحات (بورس) مثلاً، مجموعة من التصورات التي جعلت من السيميائيات في المقام الأول نظرية في التأويل».⁽⁸⁴⁾ فقد قدم (جاك دريدا) مجموعة من التصورات في نظريته (التفكيكية)، تجعل من السميوزيس بؤرة للتأويل اللامتناهي، وهو ما رفضه (أمبرتو إيكو) – وهو من أشهر رواد السيميائيات الحديثة – في كثير من كتبه، مثل "التأويل والتأويل المفرط" و"التأويل بين السيميائيات والتفكيكية"، وقسم التأويل في إطار السيميائية إلى قسمين: الأول: التأويل اللامتناهي الذي جاء به (دريدا)، والثاني: التأويل الذي يكون محكوماً بقواعد ومرجعيات، يستطيع القارئ أن يقبض على معنى النص داخل هذه الدلالات المفتوحة، وهذا الأخير هو ما يراه هو وغيره من السيميائيين التأويليين.⁽⁸⁵⁾ وبالرغم من استفادة هذه النظرية من أفكار (دريدا) فإن القول بلانهاية التأويل لا يتلاءم مع أهدافها.

فالسيميائيات التأويلية هي فتح للدلالة أو تحريك للعملية التأويلية داخل العلامة عبر ما أسماه (بورس) السيروية اللامتناهية (السميوزيس اللامتناهية). «من هنا كانت الدلالة عند (بورس) مستويات، إن السميوزيس لا متناهية احتمالاً، لكن الحاجات الإنسانية تقلص من حجمها وتفرض عليها حدوداً».⁽⁸⁶⁾ فاللاتناهي الذي تتصف به سيروية العلامات إن صح نظرياً لا يمكن أن يصح في الجانب التطبيقي؛ وإلا كانت العملية التأويلية بلا جدوى.

وهذا يعني أننا أمام سيميائيات تأويلية متشعبة الاتجاهات، و«نقصد بالنظرية السيميائية التأويلية سيروية تأويلية تباشر النص بوصفه خزاناً من الإمكانيات الدلالية. ولفهم ما تدلّ عليه هذه السيروية في أبعادها النظرية والعملية، لابدّ من تحديد المستويات الدلالية التي تحتضنها، حيث لا وجود لمعنى إلا من خلال سيروية تنقله من حدوده المفهومية المجردة والمتصلة والمعزولة عن أي سياق، إلى كيانات أو مستويات ملموسة يُستثمر من خلالها هذا المعنى عبر استحضار كل أشكال التدليل التي تحققه في واقعة ما».⁽⁸⁷⁾

إن ما هو منوط بالسيميائيات التأويلية هو أن تقدم للمتلقى القواعد النظرية، والأدوات الإجرائية، التي يستطيع بواسطتها أن يتتبع السيروية التأويلية للعلامة، في علاقاتها النصية، أو سياقاتها الخارجية. فالتأويل هو مرتكز التحليل في هذه النظرية، «ونقصد بالتأويل (أو بمعيار التأويل) ما كان يريده (بورس) عندما يعترف

أن كل مؤول (سواء كان علامة أو تعبيراً أو متتالية من تعبير تترجم تعبيراً سابقاً) لا يترجم فحسب من جديد (الموضوع المباشر) أو مضمون العلامة، ولكنه يوسع من مفهومه⁽⁸⁸⁾. لجعله قادراً على تحمل كم أكبر من التأويلات؛ ليكون أكثر استيعاباً للحقيقة، فالتأويل بحث عن الحقيقة من خلال العلامة، التي تخفي أكثر مما تبدي.

8.4. السيمائيات السردية (مدرسة باريس):

نشأت السيمائيات السردية (Narrative Semiotics) في فرنسا - لذلك تسمى بـ(سيمائيات باريس) - مرتكزة على سيمائيات بورس من جهة، وعلى جهود المدرسة السويسرية، وجهود (هيلمسليف)، والبنوية الشكلانية، من جهة أخرى. و«لقد كان (ليفي شتراوس) أول من أثار الانتباه إلى وجود إسقاطات استبدالية تغطي السير السياقي للحكاية البروبية، كما ألح على القيام بمزاوجة الوظائف، فالملفوظات السردية يمكن أن تنتظم في أزواج⁽⁸⁹⁾». كما أنها استفادت من (بروب)؛ لذلك «تندرج سيمائية مدرسة باريس (خاصة في بداياتها)، داخل التيار الشكلاني البنيوي للسانيات (سوسير، يلمسليف)⁽⁹⁰⁾». فقد استفادت السيمائيات السردية من البنيوية، بل إنها جزء من السيمائيات البنيوية عند نشأتها؛ إلا أنها ومنذ سبعينات القرن العشرين استفادت من التحولات التي طرأت على السيمائيات وانتقالها من مرحلة البنيوية إلى مرحلة ما بعد البنيوية، ومنذ هذا الوقت بدأت تتأثر كثيراً بـسيمائيات (بورس)؛ وهو ما جعلها تحجز لها مكاناً في السيمائيات الحديثة.

ويعد (ألجيرداس غريماس) أهم منظري هذه المدرسة؛ فقد سعى إلى بنائها وتطويرها على الدوام؛ فقد شكل كتابه (الدلالة البنيوية 1961) اللبنة الأولى لهذا الاتجاه، وارتبط اسم (غريماس) به من حينه، وفي مرحلتها الثانية (بوصفها جزءاً من السيمائيات الحديثة) أصدر (غريماس) مجموعة من الأعمال، أهمها: (في المعنى (1) 1970)، و(في المعنى (2) 1983)، وقاموسه المعروف بالاشتراك مع (جوزيف كورتيس 1986). فقد شكلت هذه الأعمال أهم ركائز هذه المدرسة. وبهذه الأعمال أرسى (غريماس) أسس السيمائيات السردية، وقدّم كثيراً من الدراسات النظرية والتطبيقية وناقش فيها (المربع السيميائي)، و(النموذج العاملي).

المربع السيميائي والنموذج العاملي هي نماذج للتحليل السيميائي للنصوص، والبحث عن المعنى هو غاية هذا التحليل. ويسعى (غريماس) من وراء ذلك إلى «إمكانات بلورة سيمائيات للعالم الطبيعي؛ تسعى إلى تحويل مجموع التظاهرات الحسية للعالم الخارجي إلى تظاهرات للمعنى الإنساني؛ أي إلى دلالة لصالح الإنسان، يتحول المرجع الطبيعي المطلق من خلالها إلى مجموعة من الأنساق السيميائية الضمنية⁽⁹¹⁾». وكل هذا يؤكد اهتماماً بالمعنى ضمن الأنساق الضمنية، فالبحث عن المعنى هو غاية السيمائيات السردية، «لقد طرح (جريماس) في نظريته هذه مشكل المعنى لأن مقارنة نص ما، لا يكون لها معنى إلا في حدود طرحها للمعنى كهدف وغاية لأي تحليل⁽⁹²⁾». والسيمائيات السردية لا تركز اهتمامها على السرد بوصفه جنساً أدبياً، بل بوصفه سمة تتجلى في كثير من الخطابات، أو بوصفه نشاطاً لغوياً إنسانياً لإنتاج الدلالات.

8.5. السيميائيات التداولية:

شكلت التداولية في بدايتها جزءًا من اللسانيات في شقها المدمج (التداولية المدمجة). «فالتداولية المدمجة جزء من اللسانيات والتداولية الجذرية خارجة عنها».⁽⁹³⁾ أما التداولية في شكلها المعاصر (بعد تطويرها) فهي تشكل علمًا مستقلًا عن اللسانيات⁽⁹⁴⁾، كما أنه مستقل عن السيميائية. وأما ما نتكلم عنه هنا فهو نوع من التداولية ذو صبغة سيميائية منذ نشأته. فقد «اقترح (ش. موريس) منذ سنة 1938 تعريفًا للتداولية على أنها ذلك الفرع من السيميائيات الذي يدرس العلاقة بين العلامات ومستعملها».⁽⁹⁵⁾ فهي أقرب إلى التداولية الجذرية، أو التداولية الخطية التي تُعنى بالعلاقة بين العلامات ومستعملها، وبالعلاقة هذه العلاقة بانفتاح العلامة وسيرورتها الدلالية وتعدد تأويلاتها. وهي ذات نزعة منطقية في الخلفية والتحليل.

ويُعد (تشارلز سندرل بورس) المؤسس الأول للسيميائيات التداولية؛ فقد ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسيميائيات. فالتداولية في مفهوم (بورس) تختلف عن مفهوم التداولية العامة أو اللسانية؛ فالتداولية عنده بحث في مظاهر حياتية السميوزيس التي ترتبط بنشاط العلامات. ويميز (موريس) بين التداولية المحضة التي تعنى بإنجاز اللغة والكلام على البعد التداولي للسميوزيس، والتداولية الوصفية التي تعنى بالعلاقة بين العلامة ومستعملها.⁽⁹⁶⁾ وهذه الأخيرة هي التداولية التي تعد فرعًا من السيميائيات، أو بمعنى آخر السيميائيات التداولية.

فتداولية (موريس) تنطلق من سيميائية (بورس). ويُعدُّ (بورس) أول من عرّف بمصطلح التداولية؛ فهو يقسم السيميائية إلى تركيب (قواعد نحوية)، ودلالة، وتداول. ومن الواضح أن تداولية (بورس) ومن بعده (موريس) تنطلق من نظرتهم للعلامة وسيرورتها الدلالية (السميوزيس)؛ فهي على ذلك مؤطرة بإطار سيميائي؛ لأنها تنطلق من الأسس والمقولات السيميائية ولا تخرج عنها. «وهي بذلك تنخرط في دائرة الدرس السيميائي العام الذي تغطي حيثياته كل مظاهر الحياة خارج اللغة وخارج الوعي. وأخيرًا إذا كان موضوع السيميائيات عند (بورس) هو النسق السيميائي من حيث كونه سيرورة دلالية (سميوزيس)؛ فإن مشروع (موريس) يركز على الملابس التداولية للقراء أو اختلاف القراءات».⁽⁹⁷⁾ وعلى ذلك؛ فالسيميائية التداولية هي دراسة العلاقة بين علامات النص ومستعملها ومتلقيها، بالإضافة إلى القواعد التداولية لتلك العلاقة، وهي قواعد تحكم تلك العلاقة (علاقة التلقي والتأويل) وتوجيهها.

8.6. سيميائيات الأهواء:

في ظل هذا التوسع الذي شهدته النظرية السيميائية، بدأت العناية بتحليل الأهواء/العواطف، لينشأ ما يسمى (سيميائيات الأهواء). وهي امتداد للسيميائيات العامة، حيث اعتمدت على البعد المعرفي والمبادئ العامة لها. وقد انبثقت من سيميائيات الفعل أو سيميائيات الأشياء عند مدرسة باريس السيميائية. فبعد أن أنهى (غريماس) مشروعه السيميائي السردى، التفت إلى الأهواء، وهو نوع من الانفتاح والتنوع على الأصل، للتوسيع من دائرة اشتغال السيميائيات؛ لتصل إلى مناطق إنسانية، وسيرورات دلالية منتجة جديدة.

وقد بدأ مشروعه في سيميائيات الأهواء بتحليله لهوى الغضب في كتابه (في المعنى 2) (1983م). لكن هذا

الأمر وقف عند تحليل لكسيمات الأهواء في المعجم اللغوي، وعرفت سيمائيات الأهواء تطوراً كبيراً مع ظهور كتاب (سيمائية الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس) الذي ألفه (غريماس) بالاشتراك مع (فونتنيني) عام (1991م). ويُعدُّ الكتاب تأسيسياً في هذا المجال، وقد حاول المؤلفان من خلاله البحث عن الشروط الأبستمولوجية السابقة لظهور المعاني التي تعود إلى البعد الأهوائي. وهذا الاهتمام يختلف عن اهتمامات الفلاسفة وعلماء النفس والأخلاق بالأهواء.

إن سيمائيات الأهواء ترى في الهوى عنصراً فاعلاً، ضمن عناصر أخرى تنتج الفعل، إذ «يعد الهوى بحكم تشبث السيمائيات بـ(النظرة الجامعة والمتسقة) عنصراً أساسياً في إنتاج الفعل».⁽⁹⁸⁾ فسيمائيات الأهواء وإن كانت مستقلة عن سيمائيات الفعل، إلا أنها تتفاعل وتتكامل معها في البحث عن السيرورات الدلالية التي تعمل على إنتاج المعنى. فإذا كانت سيمائيات الفعل تهتم بالفعل في علاقته بالموضوع، فإن سيمائيات الأهواء تهتم بالحالة النفسية أو الذات الانفعالية في علاقتها بالموضوع أو الأشياء. وتدرس السيمائيات الأهواء بعيداً عن علم النفس والفلسفة وعلم الأخلاق، فهي لا تهتم بالهوى في نفسه، ولكن بآثاره في المعنى، كونه ينتج معاني مشفرة ومنتظمة في النصوص. «وبعبارة أخرى، يتعلق الأمر بدراسة الهوى باعتباره سابقاً على الممكنات الدلالية المستترة».⁽⁹⁹⁾

وينطلق المنهج التحليلي في سيمائيات الأهواء، من تصنيف الحالات، بناء على الكفاءات التي تحدد وضع الذات والموضوع، ودور الهوى في العلاقة بينهما، وهو ما يعني الانطلاق من جهات الكينونة للهوى إلى تحديد كفاءة الذات. والاستهواء هو الباب الذي تلج منه سيمائيات الأهواء إلى تحليل النصوص والخطابات. وسيمائيات الأهواء تبحث في التوتر الاستهوائي الذي يدفع إلى تصنيف الذات وربطها بالموضوع. فالتوتر يولد الاستهواء، والاستهواء يولد الانفعال، الذي تقف وراءه الكفاءة الذاتية، وهو ما ينتج عنه عناصر عاملية، أو فعل تلفظي خطابي. ويعتمد التحليل في سيمائيات الأهواء على المعيار القيمي، ومدى هيمنة الهوى على النص أو الخطاب، وتأثيره في إنتاجه، فهي لا تهتم بالهوى بوصفه قيمة موجودة، ولكنها «تروم إمساكاً أفضل بقيمة القيمة»⁽¹⁰⁰⁾. كما يعتمد التحليل فيها على المخططات، كمخطط النظام الهوائي، ومخطط الهوى والتوتر.

8.7. سيمائيات القراءة:

في البداية يجب أن نفرق بين القراءة السيمائية وسيمائية القراءة وسيمائيات القراءة، فالقراءة السيمائية هي مقارنة النص سيميائياً. وسيمائية القراءة الملامح والأنظمة السيمائية التي تمتلكها القراءة، ويمكن مقاربتها سيميائياً من خلالها. أما سيمائيات القراءة فهي ذلك الاتجاه من السيمائيات الذي يعطي اهتمامه للقراءة بوصفها نحوًا خاصًا من الممارسات الإنسانية، أي أنها النظرية التي تتكئ على قواعد السيمائيات العامة، وتستخدمها في مقارنة مجال مستقل هو القراءة، فهي تقارب القراءة نفسها بوصفها علامات أو مجالاً علاماتيًا يملك سميوزيس/سيرورة دلالية. فهي تدخل ضمن الممارسات التي تمارس على القراءة، أو ما يسمى اللغة الواصفة أو قراءة القراءة. فإذا كانت نظرية استجابة القارئ تهتم باستجابة القارئ

لنصّ ما، ونظرية التلقي تهتم بكفاءات القارئ، فإن سيميائيات القراءة تهتم بالعملية التي يمارسها القارئ على النص، أي بالتفاعل الذي يحدث بين النص والقارئ.

وعلى ذلك فسيمائيات القراءة هي دراسة القراءة بطرفيها: القارئ والمقروء والعلاقات والتفاعلات التي تتم بينهما؛ بوصفها مجاًلاً سيميائياً. وهذا يعني إعادة إنتاج القراءة أو قراءة القراءة وفق معطيات السيميائيات الحديثة.

العبور من السيميائيات البنيوية وما بعدها ونظريات التلقي إلى سيميائيات القراءة ما زال في طوره الأول، فالكتابات التي كتبت في هذا المجال ضئيلة جداً. ففي ثمانينيات القرن الماضي بدأ تكون هذا الفرع من السيميائيات ضمن ما أسماه (إيكو) "السيميائيات الأكثر حداثة". فمن الكتابات التي تدخل ضمن هذه النظرية وتؤسس لها: كتابات (رولان بارت) حول لذة النص والعلاقة التي تربط النص بالقارئ. وكتابات (إمبرتو إيكو) في "القارئ في الحكاية" و"التأويل بين السيميائيات والتفكيكية" وغيرها من كتاباته. و(ميشيل أوتان) في "سيمائية القراءة"⁽¹⁰¹⁾. وكتاب "من أجل سيميائية القراءة" لـ (جيل تريان) لم أستطع الحصول عليه، فهو مكتوب باللغة الفرنسية، وقد نقل بعض أفكاره ومقتطفات منه (فانسون جوف) في كتابه "القراءة". «وعلى ذلك، فقد دشنت ومنذ بعض السنين، مجموعة من الأبحاث في اللسانيات والسيميوطيقا ونظرية الأدب بحثاً منهجياً انصب على مظاهر فعل القراءة كلها من عملية القراءة إلى مشكلات التأويل والتلقي».⁽¹⁰²⁾

وترتكز سيميائية القراءة في تكوينها على أن استجابة القراء يجب أن تدرس في إطار منظومة العملية المتكاملة التي تكونت في ضوءها. وقد تنبه إلى ذلك (رولان بارت 1984)؛ فهو ينتقد السُّنَّة التي سار عليها النقد في الاهتمام بالمؤلف وعدم الاهتمام بنص القراءة، «إننا نسعى لكي نثبت ما أراد المؤلف أن يقول، ولا نسعى مطلقاً لكي نثبت ما يفهمه القارئ».⁽¹⁰³⁾ ولذلك فهو يتساءل عن جدوى وجود سيميائية للقراءة، أو نظرية في قراءة النص القارئ. وقد دفعه ذلك للتساؤل عن جوهر القراءة، وكيف تكون؟ وعندما نقوم بـ"قراءة القراءة" فما هي النتيجة إذا كانت ليست نفسها سوى شظايا من الأفكار والمخاوف، ومن الرغبات والمتع والضغط، والتي سيعاد الكلام عنها مرة بعد أخرى. لقد دفعته هذه الحيرة إلى البحث لإيجاد إطار عام لهذا المنهج الذي تكون القراءة موضوعاً له.⁽¹⁰⁴⁾ ويتساءل هل نستطيع أن نأمل كما ينبغي بوجود علم للقراءة أو سيميائيات القراءة. ويرى أن هذا غير ممكن إلا إذا نظرنا إلى القراءة على أنها طاقة لا تنضب.⁽¹⁰⁵⁾

وهو الأمر الذي أدركه (إيكو)؛ فهو يرى أن دراسة فعل القراءة (كيف يقرأ النص) لا تقل أهمية عن دراسة كيف يصنع النص. وأن السيميائيات يجب أن تشملهما بالدراسة. يقول: «إنه لمن الأهمية بمكان أن يدرس المرء كيف يصنع النص، وكيف ينبغي أن تكون كل قراءة له إبانة عن مسار تكوين بنيته. وها أنا راسخ اليقين فيما أقول. على أنني أظن أن ما يوازي ذلك أهمية أن يدرس الناقد كيف يقرأ النص (بعد أن يصنع)، وكيف أن كل وصف لبنية النص ينبغي أن يكون وصف حركات القراءة التي تقتضيها، في آن معاً. على ما يبدو لي، فإن هذين المظهرين يكمل أحدهما الآخر، لذا يتوجب على سيميائية النص أن تأخذهما كليهما في الاعتبار».⁽¹⁰⁶⁾

وقد ارتكزت سيميانيات القراءة في دراسات (إيكو) على مقولات (تسالز سندرلوس)، خاصة فيما يتعلق بتعريفه للعلامة والسميوزيس. كانت دراسات (إيكو) بمثابة ردة فعل على النظريات التفكيكية التي قامت على الفهم المغلوط لمقولات (بورس)، خاصة فيما يتعلق بـ "السميوزيس اللامتناهية". لقد سعى (إيكو) إلى وضع نظرية لتمييز القراءات من خلال معرفة الكيفية التي تمت بها، أي إن كانت تمت بالاستعمال أم بالتأويل، وإن كانت من خلال تعاون القارئ مع النص، أم من خلال عنف القارئ ضد النص، من خلال استراتيجيات يمتلكها القارئ، وأخرى يمتلكها النص ويضعها في اعتباره، أم من خلال فرضيات وتخمينات يُجَيِّزُ النص لكي يصدق عليها. ولعل كتاباته الكثيرة عن التأويل والتأويل المفرط، وقراءاته المتكررة لـ (ديدا)، ومحاوراته مع (جوناثان كلر) هو ما ألهمه للاهتمام بالقراءة، ووضع نظرية في دراستها. خاصة وأن اهتمامه بالقارئ قد بدأ مبكراً حتى قبل أن تظهر نظريات القارئ، من خلال كتابه "النص المفتوح". إلا أنه وبعد تجاربه مع المقاربات النصية، وبعد أن أصبح متحمساً لمقولات (بورس) السيميائية؛ رأى تطرفاً من قبل اتجاهات القارئ في إعطاء القارئ سلطة مطلقة ونزع كل صلاحيات النص؛ فالنص ليس إلا خادماً مطيعاً يصدق على كل ما يقوله القارئ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى التطرف من قبل هذه التيارات في تفسير مقولات (بورس)؛ لتصب في مصلحتها. فلم يجد بداً من وضع أسس وقواعد لدراسة عملية القراءة؛ لكي يتمكن من قراءة قراءات تلك التيارات ووصفها وتصنيفها.

ويُعدُّ العالم الإيطالي المعاصر (أمبرتو إيكو)⁽¹⁰⁷⁾ هو الرائد الأول لنظرية سيميانيات القراءة؛ فبعد تجاربه العديدة ونقاشاته الكثيرة لأنصار التأويل السلبي وقراءته لكثير من قراءاتهم؛ رأى أنه لا بد من وضع أسس لنظرية تعيد قراءة القراءة السابقة ومناقشتها. فهو يرى أن مبادأة النص من الأعلى لا تفي بقراءته والكشف عن سيرورته، وكذلك الأمر بالنسبة للسيميانيات التي «تتناول النص من أعماق جذوره، في حين أسعى إلى مبادأته من على فعل القراءة».⁽¹⁰⁸⁾ لقد سعى إلى مقارنة النص من خلال فعل القراءة، أو بالأحرى مبادأته من القراءة ومحاكمتها إليه. وقدّم كثيراً من المفاهيم والآليات الإجرائية لنظرية سيميائية تحلل القراءة بوصفها عملية أو فعلاً، وليس بوصفها نتاجاً. وقدّم عدداً من الدراسات التي تؤسس لهذه النظرية وتؤطر لها. من ذلك مثلاً: "التأويل بين السيميانيات والتفكيكية"، و"التأويل والتأويل المفرط"، و"القارئ في الحكاية"، و"السيميائية وفلسفة اللغة". وهذه الكتابات هي التي جعلته في مواجهة تيار التأويل السلبي والقراءات التفكيكية؛ مما جعله يبحث عن آليات لتحليل القراءة؛ ليدحض بها حجج هذا التيار، ومعرفة كيف تمت القراءة وما علاقتها بالنص، وهل مارست عنفاً على النص (تأويل سلبي)، أم أنها تعاونية.

ومن رواد هذا الاتجاه (رولان بارت)⁽¹⁰⁹⁾ وإن بشكل غير مباشر، فقد ارتبط اسمه بالسيميانيات، وخاصة فيما يتعلق منها بالسيميانيات البنيوية، وتطرق في بعض كتاباته لقضايا السيميانيات الحديثة. ومن كتاباته السيميائية: "درس السيميولوجيا"، و"مبادئ علم الدلالة"، و"س/ز"، و"هسهسة اللغة"، و"لذة النص"، وفي الكتابين الأخيرين قدم (بارت) بعض التساؤلات بخصوص "سيميائية القراءة".

ومن رواد سيميانيات القراءة (ميشيل أوتان)⁽¹¹⁰⁾ الذي يظهر أنه استفاد في كتاباته السيميائية من

(رولان بارت) و(أمبرتو إيكو)، يتضح ذلك من خلال مقاله المنشور ضمن كتاب "طرق النص: مدخل إلى الدراسات الأدبية" وقد ترجم المقال إلى العربية محمد خير البقاعي تحت عنوان سيميائية القراءة. ويُعدُّ (أوتان) أول من أطلق صراحة مصطلح "سيميائية القراءة" على هذا الاتجاه وعنون به مقاله. كما أنه من أفضل من فصل القول في هذه النظرية، وقَدَّم برنامجاً متكاملًا لـ "سيميائيات القراءة"، ضمن ترسيمة شملت ثلاثة حقول: النص القارئ، والنص المقروء، والعلاقة بينهما.

ويخطئ بعض الدارسين إذ ظنَّ أن سيميائية القراءة هي نظرية القراءة⁽¹¹¹⁾ وفي الحقيقة أن سيميائية القراءة تختلف اختلافاً كبيراً عن نظرية التلقي ونظرية استجابة القارئ. هناك بعض الأمور البسيطة والعامّة التي تتفق فيها سيميائية القراءة مع نظريتي التلقي ونقد استجابة القارئ، منها مفهوم الفراغ النصي، وأن النص آلة كسولة، والقارئ النصي. ولكن سيميائيات القراءة تختلف عنهما في الإطار العام للنظرية، والنموذج الإجرائي، وحتى في جوهر المفاهيم التي تتفق معها فيها؛ فمفهوم القارئ النموذجي عند (إيكو) يختلف عن القارئ الضمني عند (إيزر) والقارئ الخبير عند (فيش). بالإضافة إلى أن سيميائيات القراءة تقوم على مفاهيم وآليات صارمة مستقاة من سيميائيات (بورس) المنطقية، وتتميز بين تلقيات النص المختلفة، وبين تأويل معتدلٍ وآخر سلبي. والقارئ في سيميائيات القراءة - بعكس نظريات القراءة الأخرى - لا يحضر بوصفه مركز القراءة؛ فالقراءة فيها عملية تفاعلية بين أطراف القراءة الثلاثة: المؤلف، والنص، والقارئ.

تتمثل حقول الدراسة في سيميائيات القراءة بحسب نموذج (ميشيل أوتان) في ثلاثة حقول، وهي:⁽¹¹²⁾

1- النص المقروء: وتتناول الكيفية التي تشكل بها المعنى في النص، وكيفية اشتغال علاماته وسيرورتها الدلالية، وموسوعته أو خلفيته المعرفية، وقابليته للقراءة والتأويل، وما يقدمه من معطيات دلالية تكون بمثابة المسلمات أو المدارات الدلالية، وتشكل فرضية ضابطة لأي تأويل. وتتعلق بمجموعة من الخصائص السيميائية التي تركز عليها سيميائية القراءة مثل: المسلمات ومواضع الشك، ومتتاليات الوحدة السيميائية، وعتبات النص والنص الموازي، وخلفية النص وموسوعته، والتعاوض النصي والسيرورة الدلالية، والتناص. «النص يرمج وإلى حد كبير كيفية تلقيه. أي أنه ليس باستطاعة القارئ أن يفعل بالنص ما يشاء ولا أن يؤوله كما يحلوه. فعليه نحو النص واجبات لغوية لا محيد عنها. وعليه أن يكتشف أحسن الاكتشاف التعليمات التي يتركها الكاتب منثورة هنا وهناك ضمن نصه. فإذا غابت عنه جميعها أو أكثرها أو أخل بها قاده ذلك إلى تأويلات خاطئة أو غير مقبولة».⁽¹¹³⁾ وكذلك ما يتركه من فراغات، وما يتضمنه منه إichاءات وإشارات غامضة تقتضي القراءة والتأويل. وفي هذا السياق يقسم النص إلى 1- نص مغلق غير قابل للقراءة، لكنه قابل للتكهن والاستعمال «لا أكثر انفتاحاً من نص مغلق. إلا أن انفتاحه يكون من فعل مبادرة خارجية، بل يكون طريقة في استخدام النص وليس طريقة يستخدم بها، على أن يتم ذلك برقة بالغة. إن في هذا عنفاً أكثر منه تعاضداً».⁽¹¹⁴⁾ 2- نص أحادي المعنى، أي أنه قابل للقراءة ولكنه لا يحتمل إلا معنى واحد. 3- نص مفتوح قابل للقراءة والتأويلات المتعددة.

2- النص القارئ: تسعى سيميائيات القراءة إلى تحديد نوع النص القارئ واتجاهاته، والآليات التي استخدمها، ومدى كفاءته وقدرته على تأويل النص وسد فراغاته وإدراك السيرورة الدلالية التي تحيل

عليها علاماته. كما تتمثل في إدراكه بوصفه علامات تحيل على مواضيع معينة بضرورة دلالية؛ لمعرفة موسوعته وخلفيته المعرفية، ومعرفة الآليات والأدوات التي يستند إليها.

3- العلاقة التي تجمع النص بالقارئ: تدرس سيميانيات القراءة العلاقة هذه في نوعيتها وكيفية حصولها، والآليات التي تتم بها، ودور كل من النص المقروء والنص القارئ في هذا التفاعل. ويرى (ميشيل أوتان) «أن هذا الحقل الثالث يُعد في الحقيقة أهم حقول التحليل».⁽¹¹⁵⁾ فمن خلاله يتم اللقاء بين النص المقروء والنص القارئ، ومن خلاله يتم الوصول إلى المعنى. وتقوم هذه العلاقة على فرضيات سيميائية، أو تصورات ذهنية، أو انطباعات معينة تسبق عملية التحليل، كالفرض أن النص يحيل على موضوع معين، أو أنه يحيل على نصوص سابقة، أو يحمل خلفية معينة، أو أنه قد تم تشكيله بنظام سيميائي معين، أو التصور حول النظام التشفيري التي بُنيت عليه علاماته.

8.8. السيميانيات الأسلوبية:

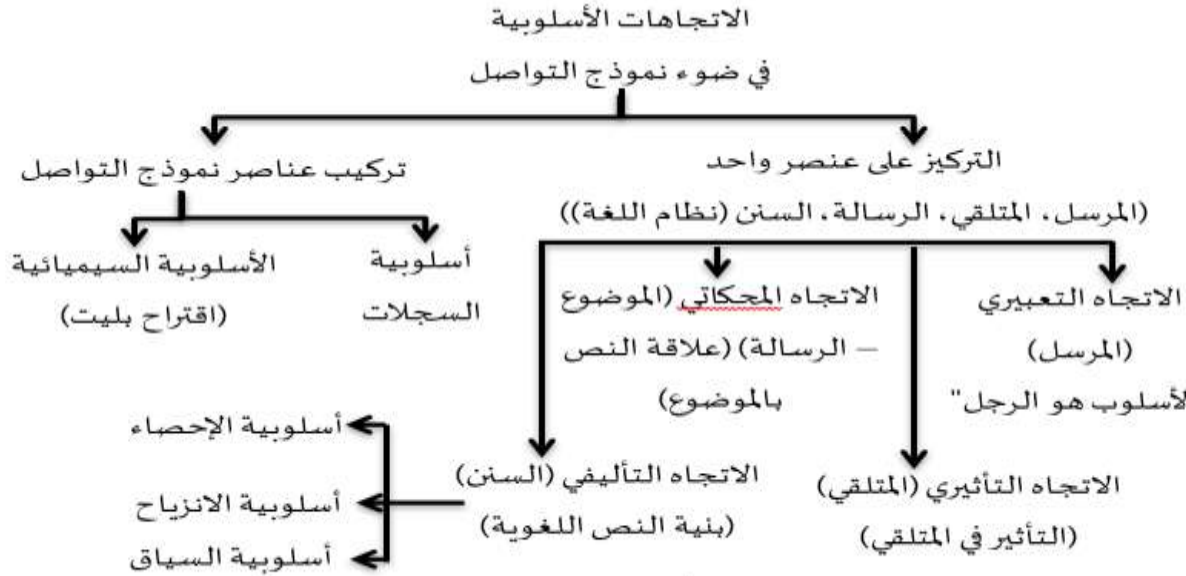
بعد أن أغرقت السيميانيات البنيوية في التجريد والمحايثة، جاءت السيميانيات الحديثة لتنتفض على القارئ؛ لتكون أكثر شمولاً، وربطت النص بمحيطه ومتلقيه ولم تغفل مبدعه. ومن اتجاهات هذا الانفتاح اتجاه سعى لربط التحليل السيميائي بالأسلوبية، أو دمج الأسلوبية في السيميانيات؛ لإكمال ما كان يراه ناقصاً لإظهار بلاغة النص. إنها محاولة لسيماة الأسلوبية، وإعادة تشكيلها في ضوء القواعد والمفاهيم السيميائية. فالسيميانيات الأسلوبية، على ذلك، «هي التي تركز على تلقي الأعمال الأدبية، ورصد آثارها الفنية والجمالية والتأثيرية، ووصف تنظيم الطبقات التلفظية التي يبني عليها هذا النص في لحظة معينة، مع تحليل العلاقة الموجودة بين هذا التنظيم والأدبية».⁽¹¹⁶⁾ وهو ما يعني أنها تختلف عن الأسلوبية اللغوية أو الوصفية؛ ففي حين تُعنى هذه الأخيرة بأسلوب النص، تُعنى السيميانيات الأسلوبية بأدبية النص.

وظهرت السيميانيات الأسلوبية (stylistic semiotics) في 1990م على يد رائدها (جورج موليني) الذي سعى إلى دمج المستوى الأسلوبي في التحليل السيميائي، وقدم مجموعة من الدراسات في هذا المجال، منها: الأسلوبية، ومعجم الأسلوبية، والسيميانيات الأسلوبية، ومقاربات التقبل، والهرمسية المحرفة أو نحو هرمينوطيقا مادية. وتركز السيميانيات الأسلوبية على أدبية النص في المقام الأول، وفي الدرجة الثانية بالجوانب الأسلوبية داخل النص. وتبحث في دلالة الأشكال الأدبية. وتربط التحليل بعلم الجمال، عن طريق رصد لذة النص الذي يحققه الانتشاء لدى المتلقي عبر فعل القراءة. كما أنها تسعى إلى تصنيف النصوص، واستجلاء مكوناتها وخصائصها الفنية والجمالية. وتنطلق من الرؤية المادية للعلاقة التي تجمع المبدع والمتلقي والنص، ومن التجربة الجمالية بوصفها وحدة كلية جوهرية وعميقة تحمل في طياتها رؤية العالم والثقافة والإيديولوجيا.⁽¹¹⁷⁾

ومما سبق، يتبين «أن السيميوطيقا الأسلوبية هي فرع من فروع السيميوطيقا النصية، ما دام هدفها هو تحليل الخطاب أو النص الأدبي، من خلال الجمع بين آليات المقاربة الأسلوبية والمقاربة السيميوطيقية ومبادئ جمالية التلقي أو التقبل، والتركيز على نظام الأدبية بأنواعها الثلاثة: الأدبية العامة، والأدبية النوعية،

والأدبية الخاصة، مع الاهتمام بالسمات الأسلوبية والبنية العاملية الأسلوبية»⁽¹¹⁸⁾ إنها عملية تحليلية تشمل كل السمات الأسلوبية تبدأ بالمرسل وتنتهي بالمتلقي مروراً بالنص. وتضيف إلى اهتماماتها - فوق الاهتمامات الأسلوبية المعروفة (التركيب والدلالة والبعد التداولي)، وتركز على عملية التلقي وشبكية النص. فرصد دلالة السمات الأدبية، وإبراز البعد السيميائي لجمال الأسلوب يقودنا إلى اللذة التي تجمع بين النص والمتلقي.

وقريباً من ذلك يقترح (هنريش بليت) نموذجاً جديداً للتحليل في ضوء ما يسميه (الأسلوبية السيميائية). فقد صنف (بليت) الأسلوبية في ضوء نموذج التواصل (المرسل والمتلقي والرسالة والسنن) إلى اتجاهين عامين وكل اتجاه يتفرع إلى اتجاهات أخرى، كما في الترسمة الآتية:⁽¹¹⁹⁾



شكل 1 اتجاهات الأسلوبية بحسب تصنيف هنريش بليت

وبعد عرضه للاتجاهات السابقة، يرى (بليت) أنها جميعاً - ما عدا الاتجاه الأخير (الأسلوبية السيميائية) - لا تفي بالغرض لما فيها من تجريد وتجزئة؛ ولذلك فهي تُعدُّ «تجريدات (بل اجتزاءات) لا تشكل كل واحدة منها إلا أفقاً للتصور الأسلوبى أو وجهة نظر»⁽¹²⁰⁾. ويقترح أسلوبية تقوم على بناء سيميائي يضم كل عناصر النموذج التواصلى ويدمج بعضها في بعض، ويشغل في الوقت نفسه على المستوى التداولي. كما يُعدُّ استيعاباً وتطويراً لاجتهادات الباحثين قديماً وحديثاً.⁽¹²¹⁾

8.9. السيميائيات البيولوجية/البيوسيميائية Biosemiotics:

تنبع الحاجة إلى السيميائيات في دراسة الأنظمة البيولوجية من أن السيميائيات هي العلم الذي يسهم بشكل فعال في دراسة النظم المنمذجة، وتشمل هذه النظم جميع أنظمة الإشارات. وهذا ما توصلت إليه السيميائيات الثقافية، وتناولته في دراساتها، إلا أن هذه الأخيرة لم تتطرق إلا إلى أنظمة الثقافات البشرية، في حين ترى السيميائيات البيولوجية - كما سيأتي - أن الحياة برمتها مبنية على السميوزيس، أي أنها عبارة عن علامات، وهو ما يعني أنها أنظمة سيميائية.

ومصطلح السيمائيات البيولوجية biosemiotics منحوت من كلمتين هما bio التي تعني الأحياء، وsemiotics التي تعني السيمائيات، وهو العلم الذي يدرس صناعة المعنى عبر العلامات. ويمكن تعريف السيمائيات البيولوجية بأنها: دراسة علم الأحياء وتفسيرها على أنها أنظمة علامات. وتدرس:

1- الدلالة والتواصل وتشكيل السلوك في عمليات الكائنات الحية.

2- سميوزيس (تغير علاقات العلامة) في الطبيعة الحية.

3- الأساس البيولوجي لجميع العلامات وتفسيرها.⁽¹²²⁾

وفي المنشور التعريفي بالمؤتمر الثامن عشر الذي أقيم في جامعة كاليفورنيا، من 17 إلى 20 يونيو، 2018 للسيمائيات البيولوجية عرّف السيمائيات البيولوجية Biosemiotics بأنها برنامج بحثي متعدد التخصصات يحقق في أشكال متعددة من الاتصال والتأثير الموجودة في الأنظمة الحية. ومن ثم فإن دراسة التمثيل والمعنى والحساسية، والمغزى البيولوجي للشفرات وعمليات التوقيع، من تتابعات الشفرة الجينية إلى عمليات التشفير بين الخلايا إلى سلوك عرض الحيوانات إلى الآثار البشرية السيمائية مثل اللغة والفكر الرمزي المجرد.⁽¹²³⁾

ظهر مصطلح السيمائيات البيولوجية Biosemiotics مع فريدريك روتشايلد 1962، وفي عام 1971 اقترحه سبتانوف Stepanov للدلالة على الدراسات التي تدمج السيمائيات والبيولوجيا، وفي العام 1974 صاغ مرسيل فوركين Morcel Forkin مصطلح Biosemiotics للدلالة على دراسة لغة الحياة التي ظهرت بعض ملامحها في الشفرة الوراثية، التي شكل اكتشافها بين عامي 1961 و1966م مرتكزاً لتطور السيمائيات البيولوجية. وفي 1991 استبدل سيبيوك Sepeak مصطلحه الذي كان صاغه في السابق Zeesemiotics بالمصطلح الجديد Biosemiotics.⁽¹²⁴⁾ ليستقر الأمر بعد ذلك بين كل الباحثين في هذا المجال هذا على هذه التسمية لهذا النوع من العلوم.

كانت كلمة السيمائيات قليلة الاستخدام أوائل القرن العشرين؛ بل كانت غائبة تمامًا عن علم الأحياء.⁽¹²⁵⁾ وتعد أول الدراسات التي استغلت السيمائيات في علم الأحياء دراسات جاكوب فان أوكسكيلول Jakob Von Uexküll في كتابه: علم الأحياء النظري (Theoretical Biology) 1920، ونظرية المعنى 1940 (theory of meaning). ونهج أوكسكيلول النهج نفسه الذي نهجه (بورس) في تفسير سلوك الكائن الحي. ومنذ ثلاثينيات القرن العشرين كان لدى أوكسكيلول الكثير من الأتباع الذين حاولوا تطوير نظريته.⁽¹²⁶⁾

ومع ذلك فيمكن القول إن التطبيق الحقيقي والمباشر للسيمائيات في علم الأحياء بدأ مع توماس سيبيوك Thomas Sebeok بدراساته حول التواصل غير اللفظي خلال الستينيات، ثم انتقل إلى دراسة الاتصال الحيواني، وأطلق على هذا العلم سيمائيات الحيوان Zeesemiotics. وفي الستينيات أيضاً قام فريدريش روتشايلد Friedrich Rothschild بتطبيق السيمائيات البيولوجية، وركز في المقام الأول على عمليات الدماغ. بدأت السيمائيات البيولوجية مرحلة جديدة مع اكتشاف توماس سيبيوك لـ(أوكسكيلول) في السبعينيات، وبدأ في نشر أعماله.⁽¹²⁷⁾ وما يميز منهج سيبيوك - وإلى جانبه هوفماير - أنه يستند إلى تعريف

(بورس) للعلامة.⁽¹²⁸⁾ وفي الثمانينيات وضع مارتين كرامبين Martin Krampen - وتأثير مباشر من أوكسكيول - تحليلًا أثبت فيه وجود السميوزيس في المملكة النباتية، وأطلق عليه اسم Phytosemiotics.⁽¹²⁹⁾

في العام 1982 نشر مجموعة من علماء السيميائيات البارزين بيانًا حول مكانة السيميائيات وعلاقتها بالعلوم الأخرى؛ وعلى رأسها علم الأحياء Biology. وفي تسعينات القرن المنصرم شهدت السيميائيات البيولوجية نقلات نوعية، وتطورًا ملحوظًا كان أهم ملامحه:

1. صدور أول كتاب يحمل عنوان (السيميائيات البيولوجية Biosemiotics) 1992.
 2. ندوة صغيرة في جلوتيرتال بألمانيا الجنوبية عقدت في يونيو 1992. وكان هذا الاجتماع الأول من نوعه الذي خصصه المجتمعون لمناقشة السيميائيات البيولوجية.
- ومنذ عام 2001 تقام مؤتمرات سنوية مستقلة ومتخصصة في السيميائيات البيولوجية. عقد المؤتمر الأول في كوبنهاغن. وفي العام 2005 تأسست الجمعية الدولية للدراسات البيولوجية، وفي العام نفسه ظهرت مجلة Biosemiotics في الولايات المتحدة. ومنذ 2007 أطلقت إحدى دور النشر سلسلة كتب عن السيميائيات البيولوجية. وشهد العام 2010 نشر مختارات ضخمة حول السيميائيات البيولوجية.⁽¹³⁰⁾
- هناك اتجاهات متعددة داخل السيميائيات البيولوجية؛ فهناك اتجاه يدرس الرموز العضوية، أو الترميز الذي يقوم عليه الاتصال بين كافة الخلايا الحية، واتجاه آخر يدرس السميوزيس في النبات، وآخر مهتم بالدماغ وعملياته، وعمليات الذاكرة،... الخ. وما يوحد هذه الدراسات هي فكرة السميوزيس بوصفه السمة المميزة للحياة. لذلك قرر المجتمعون في المؤتمر السنوي الرابع للسيميائيات البيولوجية 2004 في براغ أن ما يوحدهم هو إدخال المعنى في علم الأحياء.⁽¹³¹⁾

موضوع السيميائيات البيولوجية هو كل ما يشكل سميوزيس في كل ما هو حي. وترى السيميائيات البيولوجية أن كل الاتصالات القائمة بين الكائنات الحية (سواء الاتصالات الخارجية أو الاتصالات الداخلية) حتى على مستوى الاتصال بين الخلايا وداخل الخلية الواحدة؛ قائم على الشفرة/الترميز. وبما أنه كذلك؛ فما يصنعه ويصنع له وجودًا ومعنى حقيقيًا هو السميوزيس. «فالسيميائيات البيولوجية تحاول ترجمة النصوص التي لم تنشأ بواسطة الثقافة البشرية، وهذا يشمل ترجمة الأنواع، بالإضافة إلى تمثيل النصوص غير اللفظية المولودة في أنظمة العلامات الحيوانية في اللغة البشرية الزمنية».⁽¹³²⁾ ترى السيميائيات البيولوجية أن عمليات الحياة - لأنها تتصف بعدم الاكتمال - هي عمليات دائمة الترجمة (الترجمة بمعناها الواسع)؛ أي تفسير شيء موجود في نظام ما وفقًا لنظام آخر. لذلك نظرت السيميائيات البيولوجية إلى الشفرة الوراثية بوصفها عملية تواصلية قائمة على السميوزيس؛ لأنها عبارة عن عمليات معقدة تدير المراسلات بين ثلاثة تواليف من النوكليوتيدات والأحماض الأمينية. وفي حين أن مفهومي (الكود) و(الترجمة) قد استُخدما في البداية بشكل مجازي؛ فإن أحد الاستنتاجات الأكثر أهمية للسيميائيات البيولوجية هو أن هذه العمليات هي في الواقع عمليات بيولوجية.⁽¹³³⁾

تهتم السيمانيات البيولوجية أيضًا بالدماغ والذاكرة، وخاصة ما يتصل منها بجانبها الاتصالي، والديناميكي، والعمليات الآلية. إن دراسة الذاكرة من وجهة نظر سميوزيسية في كل النظم البيولوجية هو أمر غاية في الدقة والتعقيد، ويمكن أن يكشف عن نتائج غاية في الأهمية. فـ «عملية الذاكرة هي في حد ذاتها عملية الحياة، والحفاظ على العلاقات، والتي تعيد ترتيب المادة. عملية الحياة (الاتصال الآلي، عملية الوراثة، عملية الذاكرة) تعيد ترتيب المادة في الأنظمة الحيوية سواءً الصغيرة أو الكبيرة، وسواء في الكائنات الحية أو في النظم البيئية».⁽¹³⁴⁾

8.10. سيميانيات التفاعل الرقمي (السيبرسيمانية) Cybersemiotics:

هي إحدى الإسهامات الجديدة للنظريات متعددة التخصصات للمعلومات والإدراك والتواصل الواعي والتفاعل بين الطبيعة والثقافة. وهي رؤية لكيفية دمج الحقيقة والمعنى. إذ يرى (Brier) أنه من الأهمية بمكان إدراج جانب المعنى عند تعاملنا مع المعلومات وبحوث الإعلام والاتصال. تقوم هذه النظرية أساسًا على دمج ثلاثية بورس السيميائية ونموذج لوهمان للنظم الاجتماعية. وسيميانيات التفاعل الرقمي منهج عابر للتخصصات، يجمع بين أربعة من فروع المعرفة هي: (1) العلوم الطبيعية الدقيقة (2) علوم الحياة (3) العلوم الإنسانية (4) علم الاجتماع، وخاصة فيما يتعلق منه بالإدراك والتواصل. وتهدف إلى التفسير الشامل لعملية التواصل البشري الواعي من خلال تبني إطارًا غير اختزالي من أجل دمج معرفة الشخص الثالث (الثلاثية Thirdness) من العلوم الدقيقة وعلوم الحياة مع معرفة الشخص الأول (الأولانية Firstness) التي توصفها بأنها نوعيات من الشعور في العلوم الإنسانية، والمعرفة الشخصية للشخص الثاني (الثانانية secondness) للتفاعلات التواصلية اللغوية الجزئية التي تستند إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية للواقع.

نظرية المعلومات الآن جزء مهم من أبحاث الوعي الجديد؛ لذلك فإن من أهم الأسئلة التي تركز عليها السيبرسيمانية: ما دور الوعي والعلامات والمعنى في تطوير معرفتنا حول التطور؟ المعنى عنصر مهم وأساسي – من وجهة نظر السيبرسيمانية – وإدراجه إلى جانب الواقع عند تعاملنا مع بحوث المعلومات والإعلام والاتصالات؛ من الأهمية بمكان. ويمكن عدّ السيبرسيمانية رؤية لكيفية دمج الحقيقة والمعنى، بالإضافة إلى الجوانب التجريبية للمعرفة. يرى (Brier) أن السيبرسيمانية توفر إطارًا متكاملًا متعدد التخصصات يستخدم فيه المعنى بوصفه المبدأ الأساسي لإدراك المنطقة المعقدة لعلوم المعلومات الإلكترونية لطبيعة وآلات السيميائية (بيانات الخرائط الرقمية AND) لجميع معارف النظام الحي والتواصل والثقافة.

لا يزال العلم يواجه مشكلة المعنى، مثله مثل الوعي، وكلاهما أساسيان بنفس القدر، ولكنهما بحاجة إلى أن يكونا متحدين في نظرية متعددة التخصصات، فالوعي مشكلة عابرة للتخصصات؛ لذلك فهو شرط أساسي لكل العلوم عبرمنهجية. ولتحقيق الهدف الذي تنشده السيبرسيمانية فإن هناك حاجة لإنشاء أساس أكثر تعددًا للتخصصات «إن السيبرسيمانية هي فلسفة متكاملة للعلوم متعددة التخصصات تسمح لنا بإنجاز بحثنا متعدد التخصصات؛ فهي لا تهتم فقط بالعلم السيبراني (علم الحاسب الآلي) والسيميائية البورسية، ولكن أيضًا بالعلوم المعلوماتية، والبيولوجية، والنفسية، والاجتماعية».⁽¹³⁵⁾ ولذلك اتجه (برير)

إلى إنشاء إطار جديد يتضمن منهج متعدد التخصصات يتخطى عقدة/ثقافة التمييز (عدم التكامل) بين العلوم الطبيعية والتجريبية من جهة، والعلوم الإنسانية والاجتماعية من جهة أخرى، ويضم أربعة فروع من المعرفة، هي: العلوم الدقيقة والطبيعية، وعلوم الحياة، والعلوم الإنسانية والسيمانيات، والعلوم الاجتماعية. من خلال ذلك يقدم نموذجاً مرئياً لهذه النظرية المتعددة التخصصات يطلق عليه (النجم السيبرسيميائي)، ويضع له مركزاً وأربعة أذرع، تقع العملية السيميائية الذاتية في جوهر هذا النجم، ويضم في أذرعها:

- الأنظمة الحية والتجسيد والتطور العضوي.
- الحياة الداخلية والوعي والتنمية الوجودية والعالم العقلي الداخلي.
- الطبيعة الفيزيائية والانفجار الفيزيائي الكبير والأشياء والطاقة.
- الآخر واللغة وتاريخ الثقافة والإحساس والمعنى.⁽¹³⁶⁾

تقوم هذه النظرية أساساً على سيميائية (بورس)^{*} ونظرية النظم الاجتماعية ل(لوهمان)^{**}، يقول (برير Brier) «من وجهة نظري، يمكن الجمع بين هاتين النظريتين المتداخلتين في إطار متعدد التخصصات، أسميه السيبرسيميائية Cybersemiotics. إنني أؤمن إيماناً راسخاً بأن السيبرسيميائية يشكل أساساً واقعياً لفهم شامل للعلوم الطبيعية والحياة والاجتماعية بالإضافة إلى العلوم الإنسانية، وأنه يمكن أن يوفر فهماً أعمق للاختلافات في أنواع المعرفة التي ينتجها ويوضح لماذا كل منها ضروري».⁽¹³⁷⁾

فنظريته هذه تعتمد أساساً على ثلاثية بورس السيميائية، ويعلل (Brier) لماذا اختار (بورس) تحديداً. ويرجع ذلك إلى أن (بورس) حاول تغيير نظرتنا للعالم؛ لكي يشمل إلى جانب العلم والمنطق عالم المعنى والتواصل، وإلى أن سيميائيات (بورس) هي الوحيدة التي تتعامل مع العلامات بشكل عام، حتى العلامات غير الطبيعية. ولذلك فقد أصبح المصدر الرئيسي للتأملات السيميائية لأوجه التشابه والاختلاف بين علامات الطبيعية غير العضوية، وعلامات الأنظمة الحية، وعلامات الآلات. وانطلاقاً من هذا شهد القرن العشرين جهوداً لتوسيع النظرية السيميائية في المجال غير الثقافي، خاصة فيما يتعلق بالنظم الحية وأجهزة الكمبيوتر.⁽¹³⁸⁾

وتعتمد السيبرسيميائيات بشكل واسع على نظريات (هولمان) وخاصة فيما يتعلق بنظرية النظم الجديدة؛ فقد وسع (لوهمان) نموذج (الذاتية outopoietic) إلى المستوى النفسي والتواصل الاجتماعي، ويقترح (لوهمان) نموذجاً آلياً للنظم الاجتماعية يتكون من ثلاثة أنظمة: النظم البيولوجية، والنفسية، وهذان النظامان صامتان ويعملان في الحياة، والنظام الاجتماعي، وهو الوحيد الذي يمكنه التواصل، ويعمل في المعنى.⁽¹³⁹⁾ إن السيبرسيميائيات تقوم على دمج نظرية (بورس) السيميائية مع ما جاء به (لوهمان)، ويقدم (برير) نموذجاً للتكامل بينهما.

التواصل الواعي يتم عن طريق العلامات في شكلها الثلاثي البورسي، أول يحيل على ثاني بواسطة ثالث، وهو ما تمثله أيضاً المقولات الفانيروسكوبية/الوجودية. تساهم السيميائيات البيولوجية Biosemiotics في

خلق هذا الإطار الجديد متعدد التخصصات الذي ينشده (برير) لفهم المعرفة والوعي والمعنى والتواصل. فالعلامات تكون متضمنة في تسجيل يستند إلى رموز، مثل أبجديات اللغات الطبيعية والاصطناعية أو السلوك الطقوسي للحيوانات.⁽¹⁴⁰⁾ فالشفرة توجد على مستوى الخلايا؛ فهي تقوم على التراسل وديناميكية الحركة والتواصل والمعنى، أي أنها تقوم على السميوزيس.

ينظر إلى الرموز الموجودة داخل الكمبيوتر والتي يستخدمها الكمبيوتر بوصفها علامة بدائية؛ لأنها لا تتطلب شبه عقل ذاتي التنظيم، ولكنها تعمل بوصفها مفتاحًا، المعلومات لا تشكل علامة في حد ذاتها، وما يجعلها علامة هو التفاعل من خلال الاختلاف. و«السيرسيمانيات المستندة إلى علامة (بورس) الثلاثية تنظر إلى المعلومات الرقمية والبايتات فقط بوصفها علامات شبه مسبقة في حد ذاتها»؛⁽¹⁴¹⁾ وذلك لأنها آلة مدفوعة بالاختلاف. ما يمنح المعلومات الرقمية السميوزيس ويجعلها علامة هو أن تفسر في سياق محدد من خلال نظام.⁽¹⁴²⁾ تحاول النظريات الحاسوبية والمعلوماتية الشاملة حل مشكلة الوعي والإدراك والتواصل من خلال رؤية العالم كحاسوب ضخم ومفهوم جديد للحوسبة الطبيعية، فالعالم المادي هو عبارة عن شبكة من العمليات الحسابية على مستويات مختلفة.⁽¹⁴³⁾ ومن خلال ذلك يمكن النظر إلى كل التفاعل الكوني وحتى على مستوى النظم الحاسوبية أو السبرانية والتفاعل الرقمي بوصفه علامات تدرج تحت مقولات (بورس) المنطقية. «إن النظرة السيرسيمانيية للعلاقة بين المعلومات والسميوزيس هي أن المعلومات تنتهي إلى الثنائية ويجب اعتبارها نموذجية. عند الذهاب إلى الثنائية، تظهر إمكانية وجود مؤول».⁽¹⁴⁴⁾ ولكن من أجل القيام بذلك، يجب دمج عناصر جديدة لتوحيد المناهج الوظيفية للمعلومات والاتصالات القادمة من علم التحكم الآلي وعلوم الكمبيوتر مع الطرق البراغمية الدلالية التي تأتي من الدور اللغوي والسيمانيية. يجب دمج مفاهيم الإغلاق والتنظيم الذاتي والتمييز بين النظم البيولوجية والنفسية والاجتماعية التي تم تطويرها في علم التحكم الآلي من الدرجة الثانية ونظرية الذاتية الآلية في نظريات التجسيد والسيمانيية البيولوجية البورسية.⁽¹⁴⁵⁾

الهوامش:

- (1) عياشي (منذر)، العلاماتية وعلم النص، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004م، ص38.
- (2) شولز (روبرت)، السيمياء والتأويل، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1994م، ص13-14.
- (3) الأحمر (فيصل)، معجم السيمانيات، ط 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص18.
- (4) بنكراد (سعيد)، السيمانيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط 13، دار الحوار، اللاذقية، 2012، ص25.
- (5) بوداود (وذنان)، خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ولاية ورقلة، الجزائر، عدد خاص الملتقى الدولي الثالث لتحليل الخطاب، 2007م، ص6.
- (6) نفسه.
- (7) كوكي (جان كلود)، السيمانيية مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب، مقدمة المترجم ص5-6.
- (8) الأحمر، معجم السيمانيات، ص17.
- (9) بنكراد (سعيد)، السيمانيات: النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج35، ع 3، يناير/مارس 2007م، ص13.

- (10) يوسف (أحمد)، السيميائيات الواصفة: المنطق السيميائي وجبر العلامات، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005م. ص 118.
- (11) بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص31.
- (12) خاقي (محمد)، عامر (رضا)، المنهج السيميائي آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين- جامعة سمنان، ع2، صيف 2010م. ص65.
- (13) الرواقية (Stoicism): مذهب إحدى المدارس الفلسفية اليونانية الكبرى في العصر الهلنسي (250 ق. م)، وسميت كذلك نسبة إلى الرواق الذي كان يعلم فيه مؤسسها زينون الكتيومي. والرواقية مذهب لوحدة الوجود. ينظر: صليبا (جميل)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م. ص93.
- (14) إيكو (أمبرتو)، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005م. ص33-34.
- (15) ينظر: أرفيه (ميشال) وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف، ص11.
- (16) بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص25.
- (17) المرجع السابق، ص87-88.
- (18) الأحمر، معجم السيميائيات، ص21.
- (19) إيكو (أمبرتو)، القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبوزيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م. ص31.
- (20) المرجع السابق، ص15.
- (21) تشاندلر (دانيال)، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008م. ص361 إلى 368.
- (22) المرجع السابق، ص452.
- (23) إيكو، القارئ في الحكاية، ص15.
- (24) تشاندلر، أسس السيميائية، ص352.
- (25) ينظر: المرجع السابق، ص361 إلى 368.
- (26) إيكو، القارئ في الحكاية، ص31.
- (27) إيكو، القارئ في الحكاية، ص16.
- (28) مفتاح (محمد)، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج35، ع3، يناير/مارس 2007م. ص146.
- (29) إيكو، القارئ في الحكاية، ص15-16.
- (30) المرجع السابق، ص16.
- (31) بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص255.
- (32) تشاندلر، أسس السيميائية، ص360.
- (33) إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص41.
- (34) نفسه.
- (35) ينظر: إيكو، القارئ في الحكاية، ص9.
- (36) ينظر: الملجمي (علوي أحمد)، المعنى الإيحائي بين التراث النقدي العربي والسيميائيات الحديثة، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2018، ص326-331.
- (37) إيكو، القارئ في الحكاية، ص10.
- (38) الشيباني (عبد القادر فهمي)، معالم السيميائيات العامة، ط1، (د: م)، الجزائر، 2008. ص5.
- (39) نفسه.
- (40) بريسي (عبدالله)، مطاردة العلامات "بحث في سيميائيات شارل سندرس بورس التأويلية، الإنتاج والتلقي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2016م. ص22.
- (41) إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص36.
- (42) نفسه.
- (43) المرجع السابق، ص34.
- (44) المرجع السابق، ص35.

- (45) المرجع السابق، ص34.
- (46) بريعي، مطاردة العلامات، ص22.
- (47) قدور (أحمد محمد)، مبادئ اللسانيات، ط3، دار الفكر، دمشق، 2008م. ص15.
- (48) Saussure (Ferdinand De) Course in General Linguistics, Translated from the French by Wade Baskin, Philosophical Library, New York, 1959. P: 16.
- (49) بارت (رولان)، مبادئ في علم الدلالة، تر: محمد البكري، ط 2، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، 1987. ص29.
- (50) تشاندلر، أسس السيمياء، ص38-73.
- (51) المرجع السابق، ص32.
- (52) المرجع السابق، ص34.
- (53) الشيباني، معالم السيمياء العامة، ص18.
- (54) تشاندلر، أسس السيمياء، ص38-39.
- (55) سعدية، تحليل الخطاب والدرس العربي "قراءة لبعض الجهود العربية، ص56.
- (56) علاق (فاتح)، التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر، مجلة جامعة دمشق، مج25، عدد الأول والثاني، 2009. ص151.
- (57) عزام (محمد)، النقد والدلالة "نحو تحليل سيميائي للأدب"، وزارة الثقافة، دمشق، 1996م. ص39.
- (58) بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص12.
- (59) المرجع السابق، ص52.
- (60) المرجع السابق، ص12.
- (61) المرجع السابق، ص15.
- (62) نيرليخ (بريجيت)، الاستعارة والكناية: الأصول البلاغية للنظريات الدلالية الحديثة، تر: حسين خالفي، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ع3، مايو 2008. ص396.
- (63) المرجع السابق، ص396.
- (64) حمداوي (جميل)، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، دار الألوكة، السعودية، 2014. ص26.
- (65) المرجع السابق، ص23.
- (66) المرجع السابق، ص26.
- (67) تشاندلر، أسس السيمياء، ص356.
- (68) (Morten Boeriis, and others, Social Semiotics: Key Figures, First Edition, New Directions, Routledge, New York, 2015. P: 5-13.
- (69) تشاندلر، أسس السيمياء، ص366.
- (70) الأحمر، معجم السيميائيات، مرجع سابق، ص97.
- (71) حمداوي (جميل)، سيميوطيقا الثقافة (يوري لوتمان نموذجاً)، شبكة الألوكة، 2014/7/9، http://www.alukah.net/literature_language/0/73254/#ixzz3SmCPFMSX
- (72) المرجع السابق.
- (73) إبراهيم (عبدالله) وآخرون، معرفة الآخر "مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة"، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م. ص106.
- (74) حمداوي، سيميوطيقا الثقافة (يوري لوتمان نموذجاً)، مرجع نت سابق.
- (75) بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مرجع سابق، ص258.
- (76) المرجع السابق، ص259.
- (77) (Peter Pericles Trifonas, International Handbook of Semiotics. P: 682.
- (78) لوتمان، سيماء الكون، ص17.
- (79) بوزيدة، يوري لوتمان: مدرسة "تارتو - موسكو"، وسيمياء الثقافة والنظم الدالة، ص191.
- (80) المرجع السابق، ص195.

- (81) لوتمان، سيمياء الكون، ص35.
- (82) بوزيدة، يوري لوتمان: مدرسة "تارتو - موسكو"، وسميائية الثقافة والنظم الدالة، ص194.
- (83) بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص108.
- (84) المرجع السابق، ص54.
- (85) ينظر: إيكو، (أمبرتو)، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004م. ص117 إلى 137.
- (86) بنكراد (سعيد)، السيميائيات والتأويل "مدخل لسيميائيات ش.س. بورس"، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005. ص31.
- (87) بريسي (عبدالله)، السيميائيات التأويلية إبدال نقدي لقراءة التراث وترهينه، ضمن كتاب أعمال الندوة الدولية الثانية (قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة)، بحوث علمية محكمة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب جامعة الملك سعود. 2014/2/27-25. ص452-453.
- (88) إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص109.
- (89) غريماس (ألجيرداس)، السيميائيات السردية، (ضمن كتاب: طرائق التحليل السردية، رولان بارت، وآخرون)، ط 1، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992. ص185.
- (90) بوعطية (سعيد)، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، مجلة سمات - المغرب، مج 1، ع 1، مايو 2013م. ص50.
- (91) الشيباني، معالم السيميائيات العامة، ص42.
- (92) بوعطية، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، ص51.
- (93) موشر (جاك) وريبول (آن)، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، تونس، 2010. ص37. وتقسّم التداولية إلى تيارين: 1. التداولية المدمجة: تتعلق بالتصور اللوصفي للغة، والإحالة الانعكاسية. 2- التداولية الجذرية: وهو تيار يرى أن التداولية ليست جزءاً مدمجاً في الدلالة، بل هي مفصولة عنها. ينظر: المرجع نفسه، ص35.
- (94) ينظر: موشر، وريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص39 وص537.
- (95) بلقندور (هوارى)، مدخل إلى السيميائيات التداولية، (أعمال الملتقى الدولي الثالث "السيميائية والنص الأدبي"، 19-20 إبريل 2004)، مخبر أبحاث اللغة والأدب، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر. ص103.
- (96) نفسه.
- (97) المرجع السابق، ص104.
- (98) الداوي (محمد)، سيميائيات الأهواء، (مجلة سمات، جامعة البحرين) عدد: مايو 2013م. ص94.
- (99) غريماس (ألجيرداس. ج)، و فونتيني (جاك)، سيميائية الأهواء "من حالات الأشياء إلى حالات النفس"، تر: سعيد بنكراد، ط 1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2010م. مقدمة المترجم ص12.
- (100) المرجع السابق، ص71.
- (101) منشور ضمن كتاب "بحوث في القراءة والتلقي"، من ص67 إلى ص94.
- (102) أوتان، سيميائية القراءة. ضمن كتاب "بحوث في القراءة والتلقي"، ص71.
- (103) بارت (رولان)، هسهسة اللغة، تر: منذر عياشي، ط1، منذر الإنماء الحضاري، حلب، 1999. ص41.
- (104) ينظر: المرجع السابق، ص45-46.
- (105) ينظر: المرجع السابق، ص57-58.
- (106) إيكو، القارئ في الحكاية، ص10.
- (107) هو سيميائي وروائي إيطالي، ولد في 5 يناير 1932، وتوفي في 19 فبراير، 2016م. وهو سيميائي مشهور، وكان يرأس المجلة الدولية للسيميائيات. وكتب في السيميائيات معظم كتبه.
- (108) المرجع السابق، ص10.
- (109) فيلسوف فرنسي، وعالم سيميائي ومنظر ثقافي وناقد أدبي، ولد في 12 نوفمبر 1915، وتوفي في باريس في 26 مارس 1980.
- (110) بلجيكي، أستاذ بجامعة لوفان الكاثوليكية، ولد في (بلجيكا) في 6 نوفمبر 1932.
- (111) ينظر: شادلي، سيميائية التلقي. و بوسقطة (سعيد)، سيميائية التلقي في تراثا النقدي، (أعمال الملتقى الوطني الثاني، السيميائية والنص الأدبي 16.15 إبريل 2002) مخبر أبحاث اللغة والأدب، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر. ص87 وما بعدها.

- (112) أوتان، سيميائية القراءة. ضمن كتاب "بحوث في القراءة والتلقي"، ص75.
- (113) نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، ص29.
- (114) القارئ في الحكاية، ص71.
- (115) المرجع السابق، ص83.
- (116) حمداوي (جميل)، الاتجاهات السيميوطيقية "التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية"، ط1، مكتبة المثقف، 2015. ص279-280.
- (117) ينظر: المرجع السابق، ص280-281.
- (118) المرجع السابق، ص292.
- (119) الشكل مأخوذ من: بليت (هنريش)، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999. مقدمة المترجم، ص13.
- (120) المرجع السابق، ص62.
- (121) ينظر: المرجع السابق، ص65-66.
- (122) (Biosemiotics, Wikipedia: <https://en.wikipedia.org/wiki/Biosemiotics>)
- (123) Eighteenth Annual Biosemiotics Gathering at the University of California, Berkeley, June 17-20, 2018 <https://www.biosemiotics.org/>
- (124) (Barbieri, Marcello (2008). Biosemiotics: A new understanding of life, p:45.
- (125) (Kull (Kalevi), Introduction to Biosemiotics, 2015, p: 524.
- (126) (Ibid, p: 523-524.
- (127) (Ibid, p: 525.
- (128) (Barbieri, Marcello (2008). Biosemiotics: A new understanding of life, p: 48.
- (129) (Ibid, p: 45.
- (130) (Kull (Kalevi), Introduction to Biosemiotics, 2015, p: 526.
- (131) (Barbieri, Marcello (2008). Biosemiotics: A new understanding of life, p:47.
- (132) (Kalevi Kull, Introduction to Biosemiotics, 2015, p: 530.
- (133) (Ibid, p:528
- (134) (Ibid, p: 527
- (135) (Brier (Søren), Cybersemiotics :A New Foundation for Transdisciplinary Theory of Information, Cognition, Meaningful Communication and the Interaction Between Nature and Culture, INTEGRAL REVIEW, June 2013, Vol. 9, No. 2), p: 222
- (136) (Ibid, P: 224-223
- * تشارلز ساندروس بورس (1839 - 1914) أحد المنظرين المؤسسين للبرغماتية والسيمياء. ولد في كامبردج، ماسوشوستس، ودرس في جامعة هارفارد، وتخرج في 1859م بشهادة البكالوريوس في الفلسفة، وفي 1863م حصل على بكالوريوس في الكيمياء. عمل في الساحل الأمريكي والمسح الخاص بقياسات الأرض حتى 1891، كما عمل محاضراً بشكل متقطع في هارفارد، ولفترّة قصيرة في أوائل 1880 في جامعة جونز هوبكنز. وتُوصف شخصيته بأنها غير أكاديمية، فقد أصبحت الفلسفة مهنته، وأدى هذا إلى تأسيس نظرية البرغماتية، كما أدى اهتمامه بالدين والفلسفة والمنطق إلى اكتشاف منهجيات لتفسير ومعايير المعنى، ولقيت نظرياته رواجاً كبيراً في العالم. ينظر:
- Ryan (Michael), The Encyclopedia of Literary and Cultural Theory, First Edition, Published Blackwell Publishing Ltd, 2011, P377.
- ** نيكلاس لوهمان عالم اجتماع ألماني ومتخصص في إدارة النظم الاجتماعية. وهو مؤسس لنظرية النظم الاجتماعية. وتستند هذه النظرية على اتباع نهج متعدد التخصصات الاجتماعية التي تؤدي إلى إنتاج وتحليل متعددة: اللغوية والفلسفية والأدبية، والتدريس والقانون والاقتصادي والبيولوجيا، ولاهوتية. ولد في 8 ديسمبر 1927، في لونيورغ، بألمانيا، وتوفي الوفاة في 6 نوفمبر 1998، في أورلينغهاوزن بألمانيا.
- ينظر: ويكيبيديا، نيكلاس لوهمان https://ar.wikipedia.org/wiki/نيكلَس_لوهمان
- (137) (Brier, Cybersemiotics :A New Foundation for Transdisciplinary Theory of Information, Cognition, Meaningful Communication and the Interaction Between Nature and Culture p: 223

- (138 Ibid, p: 231
 139 Ibid, p: 245.
 140 Ibid, p: 232.
 141 Ibid, p: 235.
 142 Ibid, p: 236.
 143 Ibid, p: 242.
 144 Ibid, p: 251.
 145 Ibid, p: 254.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم (عبدالله) وآخرون، معرفة الآخر "مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة"، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م.
2. الأحمر (فيصل)، معجم السيميائيات، ط 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010.
3. أريفيه (ميشال) وآخرون، السيميائية أصولها وقواعدها، تر: رشيد بن مالك، منشورات الاختلاف.
4. إيكو (أمبرتو)، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005م.
5. إيكو (أمبرتو)، القارئ في الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م.
6. إيكو، (أمبرتو)، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد، ط 2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004م.
7. بارت (رولان)، مبادئ في علم الدلالة، تر: محمد البكري، ط 2، دار الحوار، اللاذقية، 1987.
8. بارت (رولان)، هسيسة اللغة، تر: منذر عياشي، ط 1، منذر الإنماء الحضاري، حلب، 1999.
9. بريي (عبدالله)، السيميائيات التأويلية إبدال نقدي لقراءة التراث وترهينه، (أعمال الندوة الدولية الثانية (قراءة التراث الأدبي واللغوي في الدراسات الحديثة)، بحوث علمية محكمة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب جامعة الملك سعود، 2014/2/27-25م.
10. بريي (عبدالله)، مطاردة العلامات "بحث في سيميائيات شارل سندررس بورس التأويلية، الإنتاج والتلقي"، ط 1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2016م.
11. البقاعي (محمد خير)، دراسات النص والتناسية، ط 1، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 1998م.
12. بلقندور (هوازي)، مدخل إلى السيميائيات التداولية، (أعمال الملتقى الدولي الثالث "السيمياء والنص الأدبي"، 19-20 إبريل 2004)، مخبر أبحاث اللغة والأدب، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر.
13. بليت (هنريش)، البلاغة والأسلوبية: نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، تر: محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.
14. بنكراد (سعيد)، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط 3، دار الحوار، اللاذقية، 2012.
15. بنكراد (سعيد)، السيميائيات والتأويل "مدخل لسيميائيات ش. س. بورس"، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005.
16. بنكراد (سعيد)، السيميائيات: النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 35، ع 3، يناير/مارس 2007م.
17. بوداود (وذنان)، خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري المعاصر، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ولاية ورقلة، الجزائر، عدد خاص بالملتقى الدولي الثالث لتحليل الخطاب، 2007م.
18. بوزيدة (عبد القادر)، يوري لوتمان: مدرسة "تارتو - موسكو"، وسيميائية الثقافة والنظم الدالة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 35، ع 3، يناير/مارس 2007م.
19. بوسقطة (سعيد)، سيميائية التلقي في تراثنا النقدي (أعمال الملتقى الوطني الثاني، السيمياء والنص الأدبي 16.15 إبريل 2002)، مخبر أبحاث اللغة والأدب، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر.
20. بوعطية (سعيد)، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، مجلة سمات - المغرب، مج 1، ع 1، مايو 2013م.
21. تشاندلر (دانيال)، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2008م.
22. حمداوي (جميل)، الاتجاهات السيميوطيقية "التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية"، ط 1، مكتبة المثقف، 2015.
23. حمداوي (جميل)، 2014/7/9، سيميوطيقا الثقافة (يوري لوتمان نموذجاً)، شبكة الألوكة، http://www.alukah.net/literature_language/0/73254/#ixzz3SmCPFM5X

24. حمداوي (جميل)، من البلاغة الكلاسيكية إلى البلاغة الجديدة، دار الألوكة، السعودية، 2014.
25. خاقي (محمد)، عامر (رضا)، المنهج السيميائي آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها (فصلية محكمة)، جامعة تشرين - جامعة سمنان، ع2، صيف 2010م.
26. الداهي (محمد)، سيميائيات الأهواء، مجلة سمات، جامعة البحرين، مايو 2013م.
27. روبرت (شولز)، السيميائيات والتأويل، تر: سعيد الغانمي، ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1994م.
28. سحلول (حسن مصطفى)، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
29. سعدية (نعيم)، تحليل الخطاب والدرس العربي "قراءة لبعض الجهود العربية"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، ع 4، يناير 2009، ص56.
30. صليبا (جميل)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.
31. عزام (محمد)، النقد والدلالة "نحو تحليل سيميائي للأدب"، وزارة الثقافة، دمشق، 1996م.
32. علاق (فاتح)، التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر، مجلة جامعة دمشق، مج25، ع 1 و 2، 2009.
33. عياشي (منذر)، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط 1، الدار البيضاء، 2004م.
34. غريماس (ألجيرداس)، السيميائيات السردية، (ضمن كتاب: طرائق التحليل السردية، رولان بارت، وآخرون)، ط 1، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1992.
35. غريماس (ألجيرداس. ج)، و فونتني (جاك)، سيميائية الأهواء "من حالات الأشياء إلى حالات النفس"، تر: سعيد بنكراد، ط 1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2010م.
36. كوكي (جان كلود)، السيميائية مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب.
37. لوتمان (يوري)، سيميائ الكون، تر: عبدالمجيد نوسي، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2011م.
38. مفتاح (محمد)، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة عالم الفكر، (دورية محكمة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج35، ع 3، يناير/مارس 2007م.
39. الملجمي (علوي أحمد)، المعنى الإيحائي بين التراث النقدي العربي والسيميائيات الحديثة، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2018.
40. موشر (جاك) وريبول (آن)، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة، المركز الوطني للترجمة، ودار سيناترا، تونس، 2010.
41. نيرليخ (بريجيت)، الاستعارة والكناية: الأصول البلاغية للنظريات الدلالية الحديثة، تر: حسين خالفي، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ع3، مايو 2008.
42. يوسف (أحمد)، السيميائيات الواصفة: المنطق السيميائي وجبر العلامات، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2005م.
43. Barbieri (Marcello), "Biosemiotics: A new understanding of life". Naturwissenschaften, 27-77, Springer: New York, 2008.
44. Biosemiotics, Wikipedia: <https://en.wikipedia.org/wiki/Biosemiotics>
45. Bouissac (Paul) "Semiotics as the science of memory". Sign Systems Studies, University of Tartu, 35 (1/2), 71-86, 2007.
46. Brier (Søren), Cybersemiotics :A New Foundation for Transdisciplinary Theory of Information, Cognition, Meaningful Communication and the Interaction Between Nature and Culture, INTEGRAL REVIEW, June 2013, Vol. 9, No. 2).
47. Eighteenth Annual Biosemiotics Gathering at the University of California, Berkeley, June 17-20, 2018 <https://www.biosemiotics.org/>
48. Kull (Kalevi) "Introduction to Biosemiotics". International Handbook of Semiotics. Trifonas, Peter Pericles. Springer: New York. 521-533, (2015).
49. Andersen (Thomas Hestbæk), and others, Social Semiotics: Key Figures, New Directions, Routledge - New York, First Edition, 2015.
50. Trifonas (Peter Pericles), International Handbook of Semiotics, Springer Dordrecht Heidelberg New York London, 2015.
51. Pitsillides (Stacey) "Death and Memory in the Twenty-First Century". Memory in the Twenty-First Century. Groesp, Sebastian. Palgrave Macmillan: UK. 112-118, (2016).

52. Saussure (Ferdinand De) Course in General Linguistics, Translated from the French by Wade Baskin, Philosophical Library - New York, 1959.
53. Sedda (Franciscu) "Semiotics of Culture(s): Basic Questions and Concepts". International Handbook of Semiotics. Trifonas, Peter Pericles. Springer: New York. 675-696, (2015).